

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ

الوعي

جامعة - فكرية - ثقافية

www.al-waie.org



٢٧٨

السنة الرابعة والعشرون

ربيع الأول ١٤٣١ هـ

آذار - مارس

٢٠١٠م

الثاني عشر من ربيع الأول: يوم مولد الرسول ﷺ ويوم إقامة الدولة الإسلامية الأولى زمن الرسول ﷺ ويوم إقامة الخلافة الراشدة الأولى من بعده

الرعاية الصحية في الدولة الإسلامية حماية البيئة (٢)

رياض الجنة:

حسن الظن

من حسن العبادة

فبهداهم اقتده:

سلسلة

أمهات المؤمنين (٣)

عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما

مشكلة البيئة من إفرازات الرأسمالية الجشعة

مال المسلمين العام: ينهبه الحكام ويحرم منه المسلمون

تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان

بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥



جامعية ـ فكرية ـ ثقافية

www.al-waie.org

السنة الرابعة والعشرون ـ العدد ٢٧٨

إلى السـادة الكتّـاب

يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في «الوعي» دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.

لا تقبل «الوعي» إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر.

لِـ «الوعي» حق تصحيح المواضيع المرسلة، وهي غير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.

نرجو ترقيم جميع الآيات القرآنية ووضع خط تحتها وتحت الأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخريجها.

ثمن النسخة

لبنان	١٠٠٠ ل.ل.
ألمانيا	١ يورو
أميركا	٢,٥٠ دولار أميركي
كندا	٢,٥٠ دولار كندي
أستراليا	٢,٥٠ دولار أسترالي
بريطانيا	١ جنيه إسترليني
السويد	١٥ كورون سويدي
الدانمرك	١٥ كورون دانمركي
بلجيكا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك سويسري
النمسا	١ يورو
باكستان	دولار أميركي
تركيا	دولار أميركي
اليمن	٤٠ ريالاً

England
Al-Waie
Suite 298
56 Gloucester Rd
London SW7 4UB

كندا: Canada
AL - Waie
Eglinton Ave. East 2376
P.O.Box # 44553
Scarborough, ONT. M1K 2PO

أستراليا
AL-WAIE
P.O.Box 384
Punchbowl 2196
NSW-Australia

ألمانيا
N. Abdallah
Postfach: 301513
D - 10749 Berlin
Germany

الدانمرك
AL-Waie
P.O.Box 1286
2300 KBH. S
Danmark

اليمن
جعبل أحمد عبد الله
P.O.Box: 11056
Sanaa - Yemen

بسم الله الرحمن الرحيم

الثاني عشر من ربيع الأول: يوم مولد الرسول ﷺ

ويوم إقامة الدولة الإسلامية الأولى زمن الرسول ﷺ

ويوم إقامة الخلافة الراشدة الأولى من بعده

في الثاني عشر من ربيع الأول من عام الفيل، كانت مكة، بل البشرية جمعاء، على موعد مع أسعد حدث لها على الإطلاق، على موعد مع مولد خير الناس وأحبهم إلى الله سيدنا محمد ﷺ الطاهر المطهر الذي قال عن نفسه: «لا يزال الله يُخرج بي من أصلاب الطاهرين إلى فروج الطاهرات، فقد خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح»، «أنا خيار من خيار من خيار، إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، ومن إسماعيل كنانة، ومن كنانة قريش، ومن قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»، وفي حديث يوحي إلى وجوب اجتماع البشرية على اتباعه فيما جاء به من الله تعالى، روى البيهقي (رحمه الله) عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، متى بدأ أمرك؟ فقال: «أنا دعوة إبراهيم، ونبوءة موسى، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي آمنة».

فهذا الدين، وهذه الدعوة التي جاء بها الرسول ﷺ كانت الحلقة الأخيرة من سلسلة الدعوات الحقة التي جاء بها الأنبياء والرسل عليهم السلام من قبل. وهي الدين الخاتم. وإذا كان الله سبحانه وتعالى يرسل النور ويؤيد بالحق كل رسول ونبي يرسله فيضيء به جنبات ما يرسل إليه، فإن سيدنا محمد مما فضل عليهم به أن نور رسالته يضيء جنبات الكون كله إذ أرسله الله سبحانه للناس كافةً بشيراً ونذيراً، ولن ينفك أحد من البشر من الحساب عن سيدنا محمد ﷺ وهذه الدعوة محفوظة فما جاء به سيدنا محمد ﷺ من دين حفظه الله بنصوصه ولا يمكن أن تمتد إليه يد التحريف والتبديل وذلك تحدياً من الله تعالى.

في الثاني عشر من ربيع الأول من السنة الثالثة عشرة من البعثة، وكان يوم جمعة، كان يوم وصول الرسول ﷺ ومعه صاحبه أبو بكر رضي الله عنه إلى المدينة من هجرته، وكان يوماً تاريخياً أعز الله فيه الإسلام بإقامة دولته الأولى على يد الرسول ﷺ وصحبه رضي الله عنهم، ولشدة أهمية هذا اليوم اتخذ المسلمون من السنة التي تمت فيها الهجرة بداية التأريخ الإسلامي والتقويم الهجري، وقد لخص سيدنا عمر رضي الله عنه هذا الموقف بقوله: «ذاك يوم نصر الله فيه الحق وأزهق الباطل.

ويومها خرجت المدينة تستقبل وافد الخير ليدخلها وسط أصوات التحميد والتقديس والارتجاز من بنات الأنصار بكلمات لله درها من كلمات:

طلــع البــدر علينــا	مــن ثنيــات الــوداع
وجـب الـشكر علينـا	مــــا دعـــــا لله داع
أيهــا المبعــوث فينــا	جئــت بــالأمر المطــاع
جئـت شـرفت المدينـة	مرحبــاً يــا خــير داع

في الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشر من الهجرة كان يوم وفاة الرسول ﷺ في ضحاه، فقد فارق الحياة مختاراً الرفيق الأعلى، ولكم كان يوماً ثقيلاً على الصحابة الكرام، ولكن أصحاب الفهم المشرق هؤلاء، والالتزام الحق بالإسلام لم يشاؤوا أن يمر هذا اليوم من غير أن يختاروا خليفة يخلف الرسول ﷺ في الحكم، فتركوا أشرف الخلق وأحبهم إلى نفوسهم مسجّى في فراشه الشريف ليختاروا خليفة لهم في نفس اليوم حيث بويع أبو بكر رضي الله عنه بيعة انعقاد ليبايعه المسلمون في اليوم التالي بيعة طاعة. وهكذا جعل المسلمون من هذا اليوم الثقيل، لوفاة الرسول ﷺ فيه، يوم إقامة الخلافة الراشدة الأولى أفضل عهد مر به المسلمون بعد عهد الرسول ﷺ في الحكم والتطبيق ونشر الإسلام بالجهاد والدعوة.

وهكذا نجد أنه في مثل هذا اليوم شهد المسلمون مولد الإسلام بمولد الرسول ﷺ ومولد الدولة الإسلامية الأولى على يد الرسول ﷺ ومولد الخلافة الراشدة الأولى باستخلاف أبي بكر رضي الله عنه. ذكر البخاري عن أنس «إن المسلمين بينا هم في صلاة الفجر يوم الاثنين [وهو الثاني عشر من ربيع الأول أي يوم الوفاة] وأبو بكر يصلي بهم لم يفجأهم إلا رسول الله كَشفَ ستر حجر عائشة فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة فقال أنس: وهمّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله ﷺ فأشار إليهم بيده رسول الله ﷺ أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر، ثم لم يأتِ على رسول الله وقت صلاة أخرى» وهكذا قضى رسول الله ﷺ وهو مطمئن إلى اجتماع المسلمين على أمر الله في الصلاة بإمامة أبي بكر رضي الله عنه. واستمر أمر الدين وحمل الدعوة على نفس ما كان عليه الرسول ﷺ، فقد أنفذ أبو بكر بعث أسامة الذي جهزه رسول الله ﷺ قبل مرض وفاته في صفر من السنة الحادية عشرة، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين لإرهاب الروم وإعادة الثقة إلى قلوب القبائل العربية الضاربة على الحدود...

إن الصحابة رضي الله عنهم لم يتخذوا من مولد الرسول ﷺ يوم عيد وفرح يكرمون ذكراه في كل عام، ولم يجعلوا من يوم وفاته ﷺ يوم عزاء سنوي، بل مضى الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ليشق المسلمون بعده الطريق التي رسمها لهم في إقامة الدين ونشره بالجهاد والدعوة. ولما كان الدين من عند رب العالمين ويقوم على ما يحكم به الله تعالى وحده، فعلى المسلمين أن لا يحدثوا في ذلك حدثاً، بل يجب أن يتعاملوا مع هذا الدين كما تعامل معه الصحابة الكرام.

يجب أن ينظر إليه كما ذكرت الآية ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران ١٤٤] يجب أن ينظر إليه المسلمون كما قال أنس بن النضر في غزوة أحد وقد أشيع حينها أن رسول الله ﷺ قد مات: «اذهبوا وموتوا على ما مات عليه».

هكذا يجب أن ينظر المسلمون إلى مثل هذا اليوم، ويجعلوا منه يوماً لإقامة الدين، إن الله سبحانه لا يرضيه من المسلمين أن يفصلوا الأحداث الإسلامية عن غاياتها، لا يرضيه أن نتذكر مولد الرسول ﷺ دون أن نتذكر لم جاء له؟ وما الذي أمر به، وما الذي قام به؟ وما الذي جاهد عليه؟ إن أجمل هدية يقدمها المسلمون لنبيهم الكريم هو أن يجعلوا هذه الذكرى هو يوم تعاهد على جعل يوم مولده يوم مولد للخلافة الراشدة الثانية التي وعد بها الرسول ﷺ نفسه بها. اجعلوا الرسول يبتسم ثم يضحك في قبره كما تبسم وضحك يوم رأى المسلمين مجتمعين على إمامة أبي بكر رضي الله عنه في الصلاة.

لقد سجل المسلمون لرسولهم الكريم ﷺ أسماء عديدة وهي أسماء مشتقة من صفات قائمة به ﷺ فلا تذكروا بعضها وتنسوا بعضها. فهو نبي الرحمة ونبي الملحمة الذي بعث بجهاد الأعداء، وهو الماحي الذي محا الله به الكفر، وهو الفاتح الذي فتح الله سبحانه وتعالى به أمصار الكفار كما فتح به القلوب والأبصار، وهو الكامل المكمل المؤيد بشريعة هي أمانة في رقاب المؤمنين على أن يؤدوها للعالم كافة.

إن إكرام الرسول ﷺ يكون باتباعه، ومن سار على دربه فاز بقربه، روى البيهقي أن رجلاً من أهل بغداد سأل أبا عثمان الواعظ: متى يكون الرجل صادقاً في حب مولاه؟ فقال: إذا خلا من خلافه كان صادقاً في حبه، فوضع الرجل التراب على رأسه، وصاح وقال: كيف أدعي حبه ولم أخلُ طرفة عين من خلافه، فبكى أبو عثمان وأهل المجلس، وصار أبو عثمان يقول في بكائه: «صادق في حبه، مقصر في حبه» هذا هو واقع المسلمين اليوم يحبون رسولهم ﷺ ولا يسيرون سيرته.

إن إكرام الرسول ﷺ يكون باتباعه تماماً على الذي أنزل الله تعالى.

فليعنَ المسلمون اليوم، إكراماً لمولد الرسول ﷺ واقتداءً بسيرته وسيرة السلف الصالح، بإقامة الخلافة الإسلامية الراشدة الثانية التي أظل زمانها، وآن أوانها. إنه المشروع المستقبلي الكبير للعالم، يجب أن يعمل المسلمون له عن إدراك أن دينهم هو المخلّص لهم وللعالم أجمعين، وليعلموا أن الكفار ينتظرونه من غير معرفة وإدراك من هو الدين الصحيح ولكنهم يشعرون بالحاجة الماسة إليه بعد طول عناء ومكابدة جراء تطبيق الفكر الرأسمالي المتوحش عليهم... إن من يعمل كما عمل الرسول ﷺ وعلى طريقته يستحق هذه البشرى.

اللهم اجعلنا أهلها والعاملين المقبولين لها والأحق بها، إنك سميع قريب مجيب، وعلى الله قصد السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين □

بسم الله الرحمن الرحيم

بين حق المقاومة.. وفرض الجهاد

عبد الكريم المقدسي – القدس

حينما بدأت الأمةُ بتَحَسُسِ طريقها للتحرر من الاحتلال، وقامتْ جماعاتٌ مخلصةٌ من أبناء الأمة،بإعلان الجهاد (المقدس) ضدَّ الكافرالُمستَعمر لطرده من بلاد المسلمين، ارتعدتْ فرائصُ الكفر، فتحَرَّكَ قبلَ أن يَفْقدَ زمامَ المُبادرة مُحاولاً استمالةَ أولئكَ المجاهدينَ المخلصين، ولما لمْ يُفلحْ في ذلكَ افتَعَلَ حركاتٍ وتكتلات تابعةً لهُ على أساسِ القومية الضيقة والوطنية المنحطة، تتظاهرُ بمُقاومة المُحتَلّ والسعيِ للاستقلال مع أنها في الحقيقة امتدادٌ للاستعمار وتمكينٌ له في السيطرة على البلاد والعباد ونهب الثروات، وبما يُشبه المسرحيات تظاهرَ الاستعمار بالخروجِ من بلاد المسلمينَ، مُخَلفاً وراءَهُ حكاماً وأنظمةً يَخْدمونَهُ أكثَرَ منْ نَفْسه، يُحَرِّكُهُم كالدُمى كيفما شاء، يُطَبِقون أنظمةَ الكُفرِ على شعوبهم ويحاربون مَنْ والى اللهَ ورسولَهَ، ومَعَ ذلك لم تنطلِ هذه المؤامراتُ على الواعينَ من أبناءِ الأمة الذين عقدوا العَزمَ على إعادة الإسلام إلى الحياة.

وبعدَ دراسةٍ ومراجعةٍ عميقةٍ وشاملةٍ قامَ بها الغربُ الكافرُ، توَصَّلَ إلى أن قوةَ الإسلامِ (والمسلمينَ) تكمُنُ في العقيدةِ وما ينبثقُ عنها من أفكارٍ، ما دعاهُم إلى إعادةِ النظرِ في خُطَطِهم وإلى تطويرها، لتتولى الدولُ الكافرةُ بأجهزتها الرسميةِ وعملائها من الحكامِ والمفكرينَ مُهمَةَ الإجهازِ على الإسلامِ، بالإجهازِ على عقيدتِه بوصفها عقيدةً سياسيةً، ليُحلُوا محلَّها عقيدةَ فصلِ الدينِ عن الحياة، فبدؤوا ببثِ أفكارٍ تؤدي إلى ما أرادوا، فنشروا أفكارَ القوميةِ والديمقراطيةِ والحرية وحقوق المرأة، وحوار الأديان، وشنوا حرباً على بعضِ أفكارِ الإسلامِ وعلى رسولنا محمد ﷺ، وعقدوا المؤتمرات وسَخَّروا وسائلَ الإعلامِ ومناهجَ التعليمِ حتى تُصبحَ هذه الأفكارُ السقيمة ثقافةً عامَّةً عند الأمة، لتُغَيِّرَ دينَها كما يتمنى الغربُ الكافرُ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾[البقرة ١٠٩].

وإلى جانبِ ذلك كله سَخَّروا أقلاماً وعلماءَ ضالينَ مُضلينَ يُحَرِّفون الكَلِمَ عن مواضعه. ومن المفاهيمِ والأحكامِ التي غيروا وبدّلوا في مضامينها بتوجيه من الغربِ الحاقدِ مفهومَ الجهاد، ذلك أنَّ تَرَكُّزَ مفهومِ الجهادِ في أذهانِ المسلمينَ يجعلُهُم يستَحقرونَ الحياةَ ويبذلونَ المُهَجَ والأرواحَ في حملِ الإسلامِ رسالةَ خيرٍ وهُدىً للعالَمِ، مما يرعبُ الغربَ ويَقُضُّ مضجَعَه.

أما الهُجومُ على الجهادِ كمفهومٍ وكواقعٍ، فإنه لم يظهرْ بشكلٍ جليٍّ إلا بعدَ الاستعمارِ المباشرِ الذي تعرضت لهُ الأُمَّةُ الإسلاميةُ بَعدَ هدمِ الخلافة والذي تزامَنَ مَعَ الغزوِ الفكريِ والثقافي والتبشيري، فكما ذكرنا آنفاً فإنَّ المُخلصينَ من أبناء الأمة أعلنوا الجهادَ على المُستَعمرِ، فعَمَدَ إلى الطعنِ في فكرةِ الجهادِ وتشويهِ صورَتِه، واستَخْدَمَ أسلوبين ماكرينِ

للإيقاع بالمسلمينَ فيما أراد:

الأوَّلُ بجَعلِ بعضِ (مستشرقيه) يَشُنُونَ هجوماً مباشراً على فكرةِ الجهادِ كما فَعَل المستشرق (إيرفينج) الذي قال: "الإسلامُ انتشرَ بقوةِ السيف"، وكما جاء على لسان بندكتوس في كلمته الفاجرةِ نقلاً عن الإمبراطورِ البيزنطي التي قال فيها لِمَنْ زَعَمَ أنَّهُ مُحاوِرُه: "دُلَني على شيءٍ جاءَ به محمدٌ كانَ جديداً، ولن تَجِدَ إلا أشياءَ شريرةً وغيرَ إنسانيةٍ مثلَ أمرِهِ بأن تُنشَرَ العقيدةُ التي جاءَ بها بالسيف".

والثاني وهُو الأخطرُ، فهو بمثابةِ دَسِّ السُمِ في الدسم، حيثُ لَبِسَ بعضُ المستشرقينَ (جنرالاتُ الغزو الفكري) عَباءةَ الدفاعِ عن الإسلامِ أمامَ أقرانهم كتوماس أرنولد وهو مستشرقٌ ادعى الإسلامَ وقد ألَّفَ كتاباً بعنوان: (الدعوةُ إلى الإسلام) بيَنَ فيه أنَّ الإسلامَ لم ينتشر بالسيفِ، وإنما انَتشَرَ بالدعوةِ السلْميَّةِ المُتَبَرِّئَةِ من كلِ قوة. وقدْ وَقَعَ في أحابيلِه أكثَرُ المفكرينَ والباحثينَ المسلمينَ في العصرِ الحديث، ذلك أنَّ بعضَهم خانَتهُ الفِطنَةُ فوقَعَ في الفَخِّ، والبعضُ الآخرُ غَلَبَتهُ الدنيا فارتمى بأحضانِ الغربِ، وصارَ من أبواقه، ومن أدواتِ الحُكامِ المجرمين، فأصبحَ هؤلاءِ المفكرينَ إذا سَمِعوا من يَتَهَجَّمُ على الإسلامِ بأنَّهُ انتَشَرَ بالسيفِ من المُستَشرِقينَ، قالوا: أخطأتُم واسمعوا الرَّدَ عليكم من بني جِلدتكم، فهذا توماس يقول كذا وكذا. وهكذا فقد خَرَجَ الانهزاميون من المسلمينَ يدافعونَ عنِ الإسلامِ، وأرادوا تَبرِئَتَهُ مِنْ هذهِ الفِريةِ على حَدِّ زَعْمِهِم، فَنَفَوا أن يكونَ الإسلامُ انتَشَرَ بالسيفِ، ونَفَوا مشروعيةَ الجهادِ في الإسلامِ إلا على سبيلِ الدفاعِ فقط، وأما جهادُ الطلبِ فلا وجودَ له عندهم. وهذا خلافُ ما قَرَّرَهُ أئمَةُ الهُدى عُلماءُ المسلمين، فضلاً عن مخالَفَتِه للقرآنِ والسنة. ولم يختلفْ في هذا الأمرِ اثنان من الأئمةِ الأوائل. ولستُ هنا لأرُدَّ على هرطقاتِ المستشرقينَ والانهزاميين القائلينَ بأنَّ الجهادَ حربٌ دفاعيةٌ، فإنَّ أفضلَ رَدٍّ عليهم ما سَيَرَوْنَهُ بعدَ أنْ تقومَ الخلافةُ قريباً جداً بإذن الله تعالى. بل المقصودُ هنا تبيانُ الآثارِ المُدَمِّرةِ للغزوِ الفكري الغربي على مفهومِ الجهادِ الذي هو في أعلى سُلَّمِ القِيَمِ للسياسةِ الخارجيةِ في الإسلام، جاءَ في الحديثِ الذي رواهُ أحمد عن معاذ بن جَبَلٍ رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ ثم قال: «... ثُمَّ قَالَ: **أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟** فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **رَأْسُ الأَمْرِ وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ...**».

فبَعدَ أن قَبِلَ هؤلاءِ المفكرونَ والعلماءِ أن يكونَ الإسلامُ مُتهماً وجهادُ الطلبِ مداناً، صارَ هَمُّهُم إرضاءَ الغربِ وتحسينَ صورةِ الإسلامِ أمامَهُ، مع أنَّ صورةَ الإسلامِ بيضاءُ نقيةٌ، وصورةَ الغربِ قبيحَةٌ همَجيةٌ. وبعد أن كان الجهادُ في رأسِ سُلَّمِ القِيَمِ تراجَعَ وصارَ يُذكَرُ على استحياء، حتى جاءت أحداثُ الحادي عشرَ من سبتمبر ألفينِ وواحد والتي تجلَّت فيها الحملةُ الصليبيةُ المسعورةُ على الإسلامِ والمسلمين وعلى فكرةِ الإسلام -أي العقيدة- كما جاء على لسان هنري كيسينجر الذي قال: "إننا يجبُ أن لا نَقفَ عند حَدِّ القضاء على هؤلاء الإرهابيينَ (يعني من دَبَّرَ ونَفَّذَ أحداثَ ١١سبتمبر) بل يجبُ علينا أن نقضيَ على الفكرةِ التي انطلقوا منها وَتربَوا عليها (أي العقيدةَ والجهاد)". وهكذا أصبحَ الجهادُ في اصطلاحِ الغربِ إرهاباً، وعُقِدَت

مؤتمراتُ كثيرةٌ بهدف مكافحةِ الإرهابِ تحت مسمياتٍ عديدةٍ، تهدفُ إلى مُسايَرَةِ الغربِ بزعامةِ أميركا، وتنفيذِ سياساته في محاربةِ الإسلامِ والمسلمينَ ولمَحوِ الجهادِ من مفرداتِ المسلمين وثقافتهم، وتم تغييرُ مناهجِ التعليمِ في معظمِ بلادِ المسلمينَ بما يرضي الغربَ ويتوافقُ مع سياساتِهِ، ولا ننسى هنا دورَ الإعلامِ في دعمِ هذه السياساتِ وتثبيتها.

وكان من نتائجِ ذلكَ كلِّه أن طَرأَ ضعفٌ شديدٌ على أذهانِ المسلمينَ فيما يتعلقُ بمفهومِ الجهادِ وأحكامه فكراً وممارسةً، لدرجةِ أنَّ كلمةَ الجهادِ قد اختفت أو كادت من مفرداتِ الكُتَّابِ والخُطباءِ والمفكرينَ والحركاتِ، وهذا هو عينُ ما خططَ له الغربُ الكافرُ. فها هو بطريركُ الاستشراقِ برنارد لويس يقول: "فقد افتقدَ مفهومُ الجهادِ في العصورِ الحديثةِ "قداستَه"،وهو ما يبدو جلياً في أدبياتِ الحركاتِ الناشطةِ في كشميرَ والشيشانَ وفلسطين".

وقد حَلَّ مصطلحُ المقاومة ومفرداتها محَلَّ الجهادِ . فهل المقاومةُ هي ذاتُ الجهادِ؟، ولماذا جرى إطلاقُها بَدَلَ الجهادِ؟.

أما المقاومةُ لُغَةً فهي المُنازَلَةُ، جاءَ في لسانِ العربِ: وقاوَمَهُ في المُصارَعَةِ وغيرها وتقاوَموا في الحَربِ، أي قامَ بعضُهم لبعض. أما في النصوصِ الشرعيةِ وكُتُبِ الفقهِ المعتبرةِ، فلا تجدُ لها ذكراً، ولو أن معنى المقاومةِ اليومَ بقيَ محصوراً في الناحيةِ اللُغَويةِ أي المنازلةُ والمصارعةُ لكانَ الأمرُ مقبولاً. أما بعدَ أن قامتْ مجموعةٌ من العلماءِ والمُفَكرينَ والرموزِ المعروفةِ في العالمِ الإسلامي بوضعِ معنىً اصطلاحيٍ جديدٍ للمقاومةِ مُفرَغٍ حتى من مدلولهِ اللُغوي، يُخالفُ معنى الجهادِ في الفقه، وذلك فيما يسمى "بوثيقةِ مفهومِ الإرهابِ والمقاومةِ رؤيةٌ عربيةٌ-إسلامية" في تموز ٢٠٠٣م، وتم تأكيده وتثبيتُهُ في المؤتمر التأسيسي "للحملةِ العالميةِ لمقاومةِ العدوان" ٢٤ فبراير ٢٠٠٥م في قطر، حيث جاء فيه: "وبناءً على ما تقدم فإنَّ المقاومةَ هي: استخدامٌ مشروعٌ لكلِ الوسائلِ بما فيها القوةِ المسلحةِ لدَرءِ العُدوانِ، وإزالةِ الاحتلالِ والاستعمارِ، وتحقيقِ الاستقلالِ، ورفعِ الظُلمِ المسنودِ بالقوةِ المسلحةِ، بوصفها أهدافاً سياسيةً مشروعة، وهو ما يتفقُ مع القانونِ الدوليِ وتُؤيِّدُهُ الشريعةُ الإسلامية".

وقد ترأسَ هذا المؤتمرَ سَفَرُ الحوالي، وعُيِّنَ نائباً له عبد اللطيف عربيات وخالد العجمي، وقد حَضَرَهُ ما يقرُبُ من ثلاثمايةِ شخصيةٍ من المفكرينَ وقادةِ الحركاتِ والكُتَّابِ، وَوَقَّعوا على الوثيقةِ المذكورةِ، وهذه مقتطفاتٌ من بعضِ ما وَرَدَ منها مما تمَّ إقرارُهُ في ذلكَ المؤتمر:

- أكدَ رئيسُ المكتبِ السياسي لحركةِ المقاومةِ الإسلاميةِ حماسْ خالد مشعل على أهميةِ تلازُمِ المقاومةِ السلْميَّةِ بكلِ أشكالها مع تلكَ العسكرية.
- أقَرَّ المؤتمرُ في ختامِ أعماله تشكيلَ لجانٍ نوعيةٍ لدعمِ المقاومةِ السلْميَّةِ ضدَّ كافَّةِ أشكالِ العُدوانِ والتي تنالُ من المسلمينَ المستضعفينَ بالعالم. واعتبرَ المؤتمرُ أنَّ تَجَمُّعَهُ الحالي حَقَقَ أهدافَهُ بنجاحٍ كبيرٍ، وأوضحَ الكثيرَ من الوسائلِ السلْميَةِ التي يجبُ الاستفادةُ منها وعلى الأخصِ التعاونُ مَعَ المؤسساتِ الدُوليةِ والمنظماتِ الحقوقيةِ في إزالةِ أضرارِ العُدوانِ المستمرِ وآثاره
- وركَّزَ المؤتمرونَ في بيانِهم على ضرورةِ السعي من أجلِ كبحِ ثقافةِ الكراهيةِ والحقد.

وهكذا فقد تَمَّ استبدالُ مفهومِ المقاومةِ بمفهومِ الجهادِ إرضاءً للغرب، وتَبَعاً لذلكَ تغيرت أحكامُهُ عندهم، فبعدَ أن كانَ الجهادُ فرضاً أصبحتِ المقاومةُ حقاً، وشتانَ بينَ هذا وذاك. فالمقاومةُ رجعٌ غريزيٌ عندَ الإنسانِ والحيوان وتكونُ دفاعاً فقط، وهي لا تنفصلُ اليومَ عن فكرةِ الوطنيات المُنتنَةِ وتحريرِ الأوطانِ.

أما الجهادُ فهو بذلُ الوُسعِ في القتالِ في سبيلِ اللهِ مباشرةً، أو معاونةً بمالٍ أو رأيٍ أو تكثيرِ سَوادٍ أو غيرِ ذلك، فالقتالُ لإعلاءِ كلمةِ اللهِ هو الجهاد. وهو أمرٌ مفروضٌ من اللهِ تعالى في كل زمانٍ ومكان لا يُبطلُهُ جورُ جائرٍ ولا عدلُ عادلٍ، كما جاءَ في الحديثِ الذي رواهُ أبو داود عن رسولِ اللهِ ﷺ: «**وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اللَّهُ إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ، لا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ وَلا عَدْلُ عَادِلٍ**».

فإذا كان الجهادُ في مشروعيَّته وأحكامه يستَنِدُ إلى التشريعِ الإلهي، فإنَّ المقاومةَ في أساسِها تستَنِدُ إلى الشرعَةِ الدوليةِ والقانونِ الدولي الوَضْعِي، فقد أجمعَ المؤتمرونَ في وثيقتهم على ما يلي: «وتستندُ مشروعيةُ المقاومةِ إلى مجموعةٍ من المبادئِ القانونيةِ الثابتةِ، كحقِ المقاومةِ استناداً لعدمِ الولاءِ والطاعةِ لسلطةِ الاحتلالِ، واستناداً إلى حقِ الشعوبِ في تقريرِ مصيرِها، والدفاعِ المشروعِ عن النفسِ، والاستنادِ إلى قراراتِ الأممِ المتحدةِ، والاتفاقياتِ الدوليةِ الخاصَّةِ بحمايةِ المدنيينَ أثناءَ الحروب».

وهكذا فقد جعلوا مشروعية المقاومة تأتي من حق الشعوب وقرارات الأمم المتحدة، والأخطر أنهم قرروا لها أحكاماً وضعية كتقسيمها إلى مقاومةٍ سلمية ومُسلَحَةٍ وغيرِها، وحصروها بالدفاعِ فقط، بخلافِ الجهادِ فهو جهادُ دفعٍ وجهادُ طلب، ولا يوجد فيه شيءٌ يُسمى بالجهادُ السلمي.

ومن الإمعانِ في التحريفِ والتضليلِ تقسيمُ المقاومةِ إلى مقاومةٍ سِلْمِيَّةٍ ومُسلحة، والتضليلُ الأخطرُ ظهرَ في تركيزِ المؤتمرِ المذكورِ على مفهومِ المقاومةِ السلميةِ -كما ورد: "أقرَ المؤتمرُ في ختامِ أعماله تشكيلَ لجانٍ نوعيةٍ لدعمِ المقاومةِ السِلْمِيَّةِ ضدَّ كافةِ أشكالِ العدوان.."-، أي أنهم قرروا إلغاءَ المقاومةِ المسلحةِ ضمنياً حينما تبنوا في بيانهم الختامي "دعمُ المقاومةِ السلمية". فحصلت بذلكَ الطامَّةُ الكبرى بتقريرِ جعلِ السلمِ والاستسلام أمامَ الاحتلالِ وبَطشِ الأعداءِ هو الأساسُ في المقاومة، وهذا أمرٌ شاذٌّ لم يحصل حتى في شريعةِ الغاب. فضلاً عن أنَّ فكرةَ المقاومةِ السلميةِ تحملُ في طياتها معاني المرونةِ والمُيوعَةِ وجوازَ التفاوضِ لانتزاعِ الحقوقِ سلمياً، أي تَفتَحُ أبواباً لِمَنْ يُرِيدُ التفاوُضَ مع يهودٍ أو غيرِهم للسَيرِ فيما يُسمى بالحلولِ السِلْمِيَّةِ والتفريطِ في بلادِ المسلمين، وهذا عينُ ما صَدَرَ عن خالد مشعل ممثلِ حركةِ حماس في تصريحِهِ الذي وافقَ فيه على حلِّ الدولتين.

وفي الختامِ أقول: إنّ استخدامَ مصطلحِ المقاومةِ الذي قَرروه بَدَلَ الجهادِ يُعَدُّ بدعةَ العَصرِ، فوقَ ما فيه من إضعافٍ لروحِ الجهادِ الحقيقي عندَ الأمة، فلماذا يسمون الجهادَ وقتالَ الكفارِ بمسمياتٍ أُخرى مما لم يرِد في كتابِ اللهِ أو في السُنةِ المُطهرة؟،

(التتمة ص٣٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

مال المسلمين العام: ينهبه الحكام ويحرم منه المسلمون

م. موسى عبد الشكور

جاء الإسلام بنظام كامل للحياة، ورسالة شاملة للعالم، وكان لا بد له من دولة تطبّقه وتحمله إلى العالم. وقد جعل الإسلام هذه الدولة شكلاً مميزاً، وطرازاً فريداً، يختلف عن جميع أشكال الدول في العالم في أركانها التي تقوم عليها، وأجهزتها التي تتكون منها، ودستورها، وقوانينها المأخوذة من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، التي يجب على الخليفة، وعلى الأمّة، الالتزام بها، وتطبيقها، والتقيّد بأحكامها؛ لأنّها من شرع الله، وليس من تشريع البشر.

إن السياسة الاقتصادية الإسلامية في الإسلام حيازةً وتوزيعاً مرتبطة بالعقيدة الإسلامية التي لها تأثير على سلوك المسلم بشكل عام مثل ربط الرزق والكسب والإنفاق بالإيمان والاستغفار والذكر، حيث قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف ٩٦] يستعين بها المتخصصون في الاقتصاد الإسلامي للتدليل على كفاءة النظام الاقتصادي الإسلامي وصلاحيته للتطبيق.

وقد نظر الإسلام للمال على أنه لله، وأن ما في الكون مسخر للإنسان، وأن ما بيد الإنسان من مال على اختلاف أنواعه وأشكاله ومقاديره وما ينتجه هذا المال من أموال، إنما هو جميعاً مال الله، استخلفهم فيه واعطاهم حق الانتفاع به تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾[الحديد ٧].

وقد أناط الإسلام بدولة الخلافة أن تقوم برعاية شؤون الأمّة، وأناط بها القيام بإدارة الأموال الواردة للدولة، وإنفاقها، حتى تتمكن من الرعاية، ومن حمل الدعوة، وقد بيّنت الأدلة الشرعية احكام المال العام وهو الأعيان والأموال الناتجة عن الملكية العامة التي تخص جميع المسلمين والتي توضع في بيت المال لصرفها لعامة الناس للانتفاع بها، فهم أصحابها وتستغرق كل مسلم على وجه الأرض من رعايا الدولة.

وتحظى السياسية الاقتصادية ومنها المالية بدور كبير في الدولة الإسلامية، وتسعى لتحقيق سياسة اقتصادية ومالية ناجحة حتى تتمكن من الرعاية، ومن حمل الدعوة. فالقوة المالية والاقتصادية هما من الأركان الأساسية في الدولة؛ لذلك لم يهمل النظام الإسلامي تدبير الأمور المالية، بل أعطاهما حقهما من التنظيم والضبط لما لهما من أهمية

والدولة في النظام الإسلامي هي راعية للمال وليست خازنة له، بحيث توزع على المجتمع كل الموارد الزائدة عن متطلبات تسيير إدراة الحكم والمرافق العامة. ويذكر في هذا الشأن أن علياً رضي الله عنه لم يكن يترك شيئاً في بيت المال لأكثر من عام. وكان عمر يقول: «**ما زاد المال لأعدنّه لهم عداً، وإن أعياني لأكيلنّه لهم كيلاً، فإن أعياني حثوته بغير حساب**».

والمال العام هو كل مال كان أرضاً أو كان بناءً أو معدناً أو نقداً أو عروضاً استحقه

المسلمون وفق الأحكام الشرعية وجعل الشارع ملكيته لجماعة المسلمين وجعله مشتركاً بينهم، وأباح للأفراد أن ينتفعوا منه ومنعهم من تملكه وهو ثلاثة أنواع رئيسية:

أولاً: المرافق العامة للجماعة التي لا تستغني عنها الجماعة في حياتها الجماعية وتتفرق عند فقدها كالماء قال رسول الله ﷺ: «**الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلاثٍ: فِي الْكَلإِ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ**» وكان الماء والكلأ والنار أول ما أباحه الله للناس كافة وجعلهم شركاء فيه ومنعهم من حمي أي شيء منه، وهو لمن سبق، ويلحق بهذا النوع من المال العام كل آلة تستعمل فيه مثل آلات ضخ الماء وكذلك آلات توليد الكهرباء من مساقط المياه العامة وكذلك أعمدتها وأسلاكها...

ثانياً: الأعيان التي تكون طبيعة تكوينها تمنع اختصاص الأفراد بحيازتها مثل الشوارع والساحات العامة ومثل عرفة ومنى ومزدلفة قال رسول الله ﷺ: «**مِنًى مُنَاخُ مَنْ سَبَقَ**» وكذلك القطارات وأعمده الكهرباء وأنابيب المياه لأنها تأخذ قسماً من الطريق العام أخذاً دائماً.

ثالثاً: المعادن العد التي لا تنقطع وهي المعادن الكثيرة غير محدودة المقدار؛ فلا يجوز أن يختص بها الأفراد. أما باقي الأراضي والأملاك فتكون ملكاً للدولة وتتصرف بها الدولة من صحارى وجبال وشواطئ وموات الأرض غير المملوكة للأفراد وليست من الملكية العامة يستغلها ويحييها ويتصرف بها خليفة المسلمين لصالح المسلمين.

ويوضع المال العام في بيت المال لتسجيله وتوثيقه بحثاً وتنقيباً واستخراجاً وتسويقاً وورودا وتصريفاً، ويفرد للمال العام مكاناً معيناً في بيت المال ولا يخلط بغيره لأنه مملوك لجميع المسلمين يصرفه الخليفة وفق ما يراه مصلحة للمسلمين حسب رأيه واجتهاده ضمن الأحكام الشرعية ويكون المال العام كما يلي:

١- النفط والغاز وكل ما تستخرجه من باطن الأرض.

٢- الكهرباء.

٣- البحار والأنهار والبحيرات والغابات والعيون.

٤- الغابات والمراعي.

٥- الحمى.

حقوق ولي الأمر في المال العام:

السياسة المالية العامة في الدولة الإسلامية ضبطها الإسلام بأحكام شرعية تفصيلية، وأناط بالخليفة تنفيذها، وبيت المال كان العنوان الأبرز في تنفيذ تلك السياسة من خلال تلك الأحكام. وجعلت توزيع المال العام والتصرف به من صلاحيات الحاكم المسلم قوله تعالى: ﴿**يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١**﴾ [الأنفال١] فجعلت للرسول بوصفه رئيساً للدولة الإسلامية صلاحية توزيعها وفق ما يرى لمصلحة المسلمين، وألزمت الإمام بحفظه وصونه وصرفه في الوجوه الشرعية، ووردت الأدلة بالوعيد الشديد على من يفرط في ذلك، روى البخاري من حديث خولة الأنصارية

عن النبي ﷺ: «**إِنَّ رِجَالاً يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمْ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» قال ابن حجر: «... وفي هذا الحديث ردع الولاة أن يأخذوا من المال شيئاً بغير حقه، أو يمنعوه من أهله...».

وفي عهد عمر رضي الله عنه ورد عنه أنه قال: «**لا يحل لعمر من مال الله إلا حلتين: حلة للشتاء وحلة للصيف، وما أحج به وأعتمر، وقوتي وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم، ثم أنا بعدُ رجل من المسلمين**».

كما أن الإمام يأخذ من المال العام لنفسه وعياله بمقدار الكفاية. فعن المستورد بن شداد الفهري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ لَنَا عَامِلا فَلْيَكْتَسِبْ زَوْجَةً، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ خَادِمٌ فَلْيَكْتَسِبْ خَادِمًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَسْكَنٌ فَلْيَكْتَسِبْ مَسْكَنًا، قَالَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ أُخْبِرْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ مَنْ اتَّخَذَ غَيْرَ ذَلِكَ فَهُوَ غَالٌّ أَوْ سَارِقٌ**» وقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه «**لك من هذا المال ما يقيمك ويصلح عيالك بالمعروف وليس لك من هذا المال غيره**». فيد ولي الأمر غير مطلقة في المال العام.

وقد وضع الإسلام سياسات عامة للمال العام منها:

١- أحقية المسلمين جميعاً على وجه الأرض بالمال العام فلا فرق بين المسلم القاطن في الجزيرة العربية أو القاطن في باكستان أو القاطن في أفريقيا أو القاطن في الصين أو أوروبا أو أميركا وغيرها، وكان عمر رضي الله عنه يحلف على أيمان ثلاثة ويقول: «**والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد، وما أنا بأحق به من أحد. والله ما من المسلمين أحد إلا له في هذا المال نصيب**».

٢- ليس لأحد أن يحرم ملكية الانتفاع التي جعلها الله حقاً للأفراد. فقد قال الرسول ﷺ: «**مَا أُعْطِيكُمْ وَلا أَمْنَعُكُمْ، إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ أَضَعُ حَيْثُ أُمِرْتُ**».

٣- توظيف الأموال في الوصول بالمجتمع إلى سد الحاجات الأساسية، بحيث تحل مشاكل الإنسان في المجتمع الإسلامي ومنها ظاهرة الفقر وتمكين ولي الأمر من التوسعة على الناس.

٤- التسوية بين الناس في العطاء من المال العام، والمراد: التسوية بين المسلمين في دفع الحاجات، لا في قدر العطاء.

٥- الرفق بالرعية في تحصيل الأموال فلم ينحصر مبدأ رعاية الدولة في المال العام بالتوزيع بل شمل أيضاً الجباية. فهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي عامله على الخراج قائلاً: إذا أقدمت عليهم فلا تبيعنّ لهم كسوة شتاء ولا صيف ولا رزقاً يأكلونه ولا دابة يحملون عليها، ولا تضربنّ أحداً منهم سوطاً واحداً في درهم.

٦- أن ولي الأمر والعمال لا يملكون ما أهدي إليهم عندما يكونون على رأس أعمالهم، بل يكون رشوة محرمة؛ لأنه إنما أهدي إليهم من أجل مكانهم من المسلمين، لا من أجل أشخاصهم، فلم يكن أولى بالهدية منهم، وحديث أبي حميد الساعدي في قصة ابن اللتبية حيث أنكر النبي ﷺ عليه أخذ ما أهدي إليه بسبب ولايته، وعدَّه غلولاً.

٧- المحاسبة في كل الأمور ومنه الأمور المالية إذا خالف فيه الحق، فوضعه في مصارف غير مشروعة «**مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ**

بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا».

٨- مسؤولية الدولة في مراقبة كيفية التصرف في المال العام.

٩- تأمين الكفاية الاقتصادية للمجتمع، وسد الحاجات الأساسية للأفراد، وضمان الحد الأدنى من المعيشة لكل واحد منهم، والعمل على تحسين مستوى الرفاهية حتى لا تكون هناك تبعية اقتصادية لدول أخرى.

١٠- التطلع للاحتياجات المستقبلية للأجيال بعد حد الكفاية، فقد رأى عمر بن الخطاب عندما زادت إيرادات بيت المال مع فتح العراق، ضرورة رعاية احتياجات الذرية والأرامل ومصلحة أجيال المستقبل وحماية الثغور لدولة الإسلام.

أما كيفية الانتفاع بالمال العام والذي هو ملك لكل مسلم، فإن لكل مسلم، ذكراً أو أنثى، صغيراً أو كبيراً، أن ينتفع بهذه الملكية مباشرة وبآلته مثل الماء والكلأ والنار والطرقات والأنهار أو غير مباشرة. والذي ما لا يسهل الانتفاع به مباشرة كالنفط والمعادن فعلى الدولة استخراجه نيابة عن المسلمين، ويتم توزيعه من قبل الحاكم بالتساوي، حسب ما يراه الحاكم بعد أجور موظفي ديوان الملكية العامة وأجور الخبراء والعمال وبعد دفع ثمن المعدات اللازمة من مضخات وقطارات. ويكون الانتفاع من أعيان الملكيات العامة بما يحتاجونه من ماء وكهرباء ونفط في منازلهم وأسواقهم من غير ثمن أو بسعر التكلفة، كما ويستطيع أن يوزع عليهم نقوداً مما ينتج عن المال العام وفق ما يراه الحاكم المسلم.

وفي حالة عدم كفاية واردات بيت المال من فيء وجزية وخراج وعشور وخمس لنفقات الدولة لكثرة المسؤوليات العامة وخاصة في الإنفاق العسكري، ينتقل الإنفاق عليها إلى المسلمين، وذلك مقابل تأمين أرزاق الجند وتوفير الماء وإقامة المدارس والجامعات والمساجد والمستشفيات والإنفاق على الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل والجهاد ومتطلباته من أسلحة وطائرات وبوارج... هذابالإجمال ما سار عليه المسلمون سابقاً.

هذا ما ستسير عليه الدولة الإسلامية القادمة بإذن الله وتطبقه كأحكام شرعية كما طبقته من قبل، وأحسنت تطبيقه زمن الخلفاء الراشدين.

أما سياسة الدول القائمة في العالم الإسلامي فهي تقوم على استغلال وسرقة الأنظمة للمال العام، وهي سياسة تجعل موظفيها يفكرون في قضايا مثل الرشوة والسرقة والتزوير ونحو ذلك، إما لانخفاض الأجور والظلم حتى أصبح منتشراً بين موظفي الدوائر الحكومية التسابق لسرقة المال العام. فالصحف مليئة بقضايا اختلاس ورشوة بمبالغ كبيرة جداً، وتحويل أموال إلى البنوك في الخارج، ويكفينا ما روي أن عمر بن الخطاب لما رأى الأموال الكثيرة المنقولة من الأقاليم بين يديه، قال: «**إن قوماً أدوا الأمانة في هذا لأمناء، فقال له بعض الحاضرين: إنك أديت الأمانة إلى الله تعالى فأدوا إليك الأمانة، ولو رتعت لرتعوا**». وأما في مجال التصرف بالأموال

العامة وأموال الدولة وجمعها وصرفها فلا يُعلم أحد أكثر إجراماً من حكام المسلمين اليوم، وسوف يشهد التاريخ أنهم ضيعوا على أمة الإسلام أكبر ثروة مالية مرت في تاريخها، وأنهو تخوّضوا في مال الله، وصرفوه بغير حقه على أنفسهم وعلى قرابتهم وعلى زبانيتهم حيث يتميز الآلاف من أبناء الأسرة الحاكمة عن عامة الناس في استغلال المال العام وتمتعهم بكل الحقوق، وإعفائهم من كل الواجبات، وحصانتهم ضد القضاء، وإطلاق يدهم في إهانة الناس وأكل أموالهم وهتك أعراضهم، بل وحتى قتلهم وإزهاق أرواحهم، إلى أن يصل الحال بالإنسان إلى مستوى الرق والعبودية، كما هو حال بعض العمال المستقدمين من بلاد المسلمين. وصرفت الأموال العامة حتى تحول واقع الدولة من فائض بمئة وخمسين مليار دولار في السعودية مثلاً إلى ديون ومستحقات بمئة وخمسين مليار دولار، بينما قدّرت ممتلكات الأسرة في الخارج بما لا يقل عن خمسمئة مليار دولار وهذا المال مصدره المال العام وهو النفط وغيره في الجزيرة الذي هو ملك لجميع المسلمين، وقد تحولت الدولة إلى شركة مساهمة تملكها عائلة اقتسمت الإمارة فيما بينها حتى تم توظيف المقربين وأكثرهم جريمة وخيانة ليوضع في المناصب الحساسة، سواء أكانت مالية أم عسكرية أم سياسية أم استخباراتية، ويكون هؤلاء جميعاً معصومين من كل أشكال المحاسبة، ولديهم كل الحصانة ضد أي مساءلة، وقد مارس الحكام شتى أنواع الفساد والإسراف وتبذير ثروة الأمة بعد أن كان يصرف في صالح المسلمين والجهاد في سبيل الله، وهذه صورة من صور إنفاق المال العام التي يتبعها حكام المسلمين المفروضين على الأمة:

١- بناء الأبراج والتطاول في بنيانها، وبناء الجزر التي لا هدف من بنائها إلا المتع الرخيصة، وبناء الحكام القصور بتكاليف خيالية سواء في بلدانهم أو حتى في سائر العواصم العربية والأجنبية لتكون ماخوراً لنزواتهم.

٢- الاستثمار في الدول الأجنبية وإنشاء الفنادق والمنتجعات وإقامة المتاحف على غرار متحف اللوفر والمتاحف العالمية مثل امتلاك شركة دبي العالمية فندقاً ونادياً للقمار ضمن مشروع "سيتي سنتر" الذي يكلف ٨,٧ مليار دولار في مدينة لاس فيغاس الأميركية وتمتلك شركه دبي ٥٠٪ منه.

٣- إبرام صفقات التسلح الخيالية التي ينتهي الأمر بها للخردة والتلف.

٤- صرف مبالغ خيالية على الحفلات وشراء الخيل والكلاب والأسود والنمور والصقور...

٥- مصروفات الوجود العسكري الأجنبي مثل القواعد العسكرية وغيرها.

٦- الامتيازات التي تمنح لشركات الاستثمار الأميركية. لنهب الأموال والاستثمارات الخليجية في الدول الأجنبية.

٧- رواتب دائمة لأبناء العائلات الحاكمة، وهي تتفاوت بحسب القرابة للحاكم الملك أو للأمير الحاكم. وبالنسبة إلى الأعطيات إلى صغار الحكام فالابن الصغير لأحد الحكام الملوك يعتبر أغنى طفل في العالم إذ تقدر أمواله وأرصدته عام ١٩٨٧م بـ ١٦٠٠ مليون دولار.

٨- الهدايا بدون حساب فقد دفع مبلغاً مقداره "٤٥٠٩٦٠" دولار كهدية لزوجة ريغان إضافة

إلى هدية بمبلغ ٢٠٠,٠٠٠ دولار إلى وصيفتها، وكذلك كان يصرف إلى موظفي المطاعم الهدايا مثل ساعات الذهب التى كان يلبسها جميع الجرسونات، وتصرف لهم رواتب خيالية علاوة على مصاريف أخرى لموظفين يديرون قصورهم وسياراتهم وطائراتهم الخاصة.

٩- دعم المؤسسات الأجنبية مثل دعم قطر لشركة فولكسفاجن الألمانية للسيارات بمبلغ ٧ مليارات دولار.

١٠- شراء ودعم مؤسسات مصرفية أجنبية ودفع الإتاوة لأوروبا وأميركا تحت أسماء شتى مثل العقود الاستشارية الكبرى، والتوكيلات التجارية، والمنح الأجنبية.

١١- صرف أموال طائلة تحت عناوين شتى مثل الخدمات الاجتماعية دون تحديد كيف صرف، ولا تحديد مبررات الصرف، ولا تحديد أسماء من صرف لهم ولا نوعية الخدمات التي قدموها.

١٢- إيداع ما تبقى في بنوك سويسرا خدمة للكفار فأين يذهب ثمن الإنتاج اليومي المعلن عنه من النفط. إن مثل هذه المبالغ توضع في مثل هذه المصاريف لأنها تحافظ على سرية هذه المبالغ المسروقة عن أعين المسلمين ومن ثم هي توضع في حسابات الربا المحرم شرعاً.

إنه لا توجد بيانات إحصائية لإسراف الحكام وفسادهم، وما يتسرب قليل من كثير، ولكن بهذا القليل يدرك كيفية التصرف بالمال العام والفرق الكبير بين الحاكم والمحكوم في معيشته وحياته، فالأمة منفصلة انفصالاً تاماً عن الدولة، أي عن حكامها، وإن العلاقة بين جمهرة الناس والحكام علاقة فئتين متباينتين لا علاقة بين رعية ودولة، وفضلاً عن ذلك فهي علاقة كره وتضاد وتناقض للشعور بأكل حقوقهم، وليس فيها أي تقارب ولا ما يشعر بإمكانية التقارب.

إن الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي يعتقدون أنهم يملكون الأرض وما عليها وما تحتها وما ينتج عنها، وأن أي قرار بخصوص الاقتصاد هو حق مطلق لهم لا لغيرهم، وأنهم ليسوا عرضة لأي محاسبة أو مساءلة عن قراراتهم الاقتصادية، وأن أي معلومة عن دخل الدول وحفظه وصرفه هي ملك للحكام، إن شاؤوا أعلنوها وإن شاؤوا أخفوها، فهم غير خاضعين لدين ولا لمنطق ولا لمصلحة، فأموال الدولة هي أموالهم لا فرق بين المال العام والمال الخاص لأن الناس وأموالهم ملك لهم. هذا ما يتصرف على أساسه الحكام.

ولو أخذنا مثالاً لواحدة من دول العالم الإسلامي ففي عام ٢٠٠٥م مثلاً بلغت عائدات إحدى دول الخليج من صادرات النفط "المال العام" حوالى ٢٢٠ مليار دولار بعد كل المصاريف. ولكن الحقيقة أن هذه الأرقام ليس لها أدنى علاقة بواقع الحال للمسلمين جميعاً. وهنا نتساءل: أين نفط الخليج كله؟ وأين نفط العراق؟ وأين نفط مصر؟ ونفط ليبيا؟ وأين نفط الجزائر؟ وأين نفط إيران؟ والسودان؟ والقائمة تطول وتطول لخيرات وثروات العالم الإسلامي الأخرى من المعادن والذهب إلخ... إن المال العام ليس ملكاً للحاكم، بل هو أمانة في يد الأمة، والأمة يفترض أن تكون وضعته في يد الحاكم، وهذا المال في الأصل استخلفه الله بأيدينا حتى يرى كيف

نتصرف فيه، لذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ فلاحظ قوله تعالى: ﴿جَعَلَكُم﴾ ولم يقل جعل الحاكم ولا جعله مستخلفاً فيه، بل قال: ﴿جَعَلَكُم﴾ ولذلك فالدولة نائب وأمين ووكيل عن الأمة في خدمة هذا المال العام، والنبي ﷺ يقول فيما رواه البخاري: «**مَا أُعْطِيكُمْ وَلا أَمْنَعُكُمْ، إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ أَضَعُ حَيْثُ أُمِرْتُ**»، وكان عمر رضي الله عنه يحلف ثلاثاً ويقول: «**والله ما أحد أحق من هذا المال من أحد، وما أنا أحق به من أحد، ووالله لو بقيت لأوتينّ الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه**» رواه أحمد في المسند.

فلا يحل للحاكم ولا أي مسؤول أن يأخذ لنفسه إلا ما يفرضه له الناس بالمعروف، ويكفينا قصة أبي بكر حينما استلم الحكم وكان يريد أن يتاجر ويعيش من كدّ يده، فقالوا له: ليس لديك من الوقت ما يكفي لكي تتاجر وتعيش من كدّ يدك، بل لا بد أن يُفرض لك مال، والصحابة هم الذين فرضوا المال الذي يأخذه، وانطبق هذا الحكم على عمر وغيره من أمراء المؤمنين؛ ولذلك كان من أهم أحكام المال العام تحريم الغلول فقال تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[آل عمران ١٦١]، والنبي ﷺ يقول: «**مَنْ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ**» حديث صحيح. وقال ﷺ: «**مَنْ كَانَ لَنَا عَاملاً فَلْيَكْتَسِبْ زَوْجَةً، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ خَادِمٌ فَلْيَكْتَسِبْ خَادِماً، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَسْكَنٌ فَلْيَكْتَسِبْ مَسْكَنًا، قَالَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ أُخْبِرْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ مَنْ اتَّخَذَ غَيْرَ ذَلِكَ فَهُوَ غَالٌّ أَوْ سَارِقٌ**» وهو حديث صحيح كذلك قال ﷺ: « **إِنَّهُ سَيُفْتَحُ لَكُمْ مَشَارِقُ الأَرْضِ وَمَغَارِبُهَا، وَإِنَّ عُمَّالَهَا فِي النَّارِ إِلا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَأَدَّى الأَمَانَةَ** ».

وقال رجل لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**يا أمير المؤمنين، لو وسعت على نفسك في النفقة من مال الله تعالى؟ فقال له عمر: أتدري ما مثلي ومثل هؤلاء [يعني الرعية] كمثل قوم كانوا في سفر، فجمعوا منهم مالاً وسلموه إلى واحد ينفقه عليهم، فهل يحل لذلك الرجل أن يستأثر عنهم فيأخذ من أموالهم؟**» هذا رأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تمثيل أو تصوير المال العام في يد الحاكم، فأين عمر من حكام اليوم حين أتاه مال من البحرين فقال عمر لعامله: «**بما جئت؟ قال: بخمسمائة ألف درهم، فاستكثره عمر وقال: أتدري ما تقول؟ قال: نعم، مائة ألف خمس مرات، فصعد عمر المنبر وقال: أيها الناس قد جاءنا مال كثير، فإن شئتم كلنا لكم كيلاً، وإن شئتم عددنا لكم عداً**» وقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَجْلِساً إِمَامٌ عَادِلٌ، وَأَبْغَضَ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ وَأَبْعَدَهُمْ مِنْهُ مَجْلِساً إِمَامٌ جَائِرٌ**».

يجب تطبيق النظام الإسلامي علينا كمسلمين، فهو نظام محدد واضح من حيث مصادر الثروة العامة وبيت المال وكذلك وجوه الصرف من خلال نصوص القرآن والسنة، فإن كثيراً من الفرعيات لا يمكن البت فيها برأي الفرد الحاكم، ولا بد من الرجوع إلى آراء الفقهاء للاجتهاد، ولذلك لا يظنن أحد أن الدولة دولة قديمة لا يوجد فيها تشريعات اقتصادية تستطيع أن تعالج مشاكل المسلمين اليوم، بل سيكون لدى الدولة الإسلامية نظام اقتصادي ناجح يقوم بدوره في إيجاد القوة للدولة والكفاية للمسلمين.

(التتمة ص٣٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الرعاية الصحية في الدولة الإسلامية: حماية البيئة (٢)

الصحة العامة

تتعلقُ الرعايةُ الصحيةُ العامةُ بالعواملِ التي تُؤثّرُ على صحةِ الجماعةِ ككُلٍّ، كصلاحيةِ مياهِ الشربِ والغذاءِ ونقاءِ الهواءِ ونظافةِ البيئةِ والتطعيمِ وغيرها من المجالات. وتهدفُ الرعايةُ الصحيةُ العامةُ إلى تعْزيزِ الصحةِ عنْ طريقِ سياساتٍ على مُستوى الدَّوْلةِ كُلّها، وهذه السياساتُ تشملُ إجْراءاتٍ ومشاريعَ تقومُ بها الدولةُ، كمَدِّ شبكاتِ الصَّرْفِ الصِّحيِّ وإقامةِ المَحْمياتِ الطَّبيعيَّة، وتَشْمَلُ أيضاً قوانينَ يتَبَنّاها الخليفةُ ويُلْزِمُ الرَّعيَّةَ بها كقوانينِ السَّيْرِ ومَنْعِ الضَّجيجِ أوْ تَلْويثِ البيئة.

وتُرَكِّزُ الرعايةُ الصحيةُ العامةُ في الغالبِ على الوقايةِ منَ الأمراضِ أكثرَ منَ العلاجِ، ولذلكَ فالوقايةُ مِنْ أهَمِّ أقسامِ الرعايةِ الصحيةِ وأعَمِّها نفْعًا وأكْثرِها إنْتاجًا. فعلى سبيلِ المثالِ، فإنَّ إضافةَ اليودِ غيرِ المُكْلِفِ إلى ملحِ الطعامِ في كثيرٍ مِنْ دُوَلِ العالَمِ، خَفَّضَ مِنْ نسْبةِ أمراضِ الغُدَّةِ الدَّرَقيَّةِ والتَّخَلُّفِ العَقْليِّ الناتجِ عنْ نقصِ اليودِ بصورةٍ كبيرةٍ. ويُقَدَّرُ اليومَ أنَّ أكثرَ منْ ٩١ مليونَ طفْلٍ سنَويًا كانوا سيُصابُونَ بمشاكلَ تعليميةٍ ونَقْصٍ في القُدراتِ الذِّهْنيَّةِ لَوْلا هذا الإجْراءِ، ولأنَّ ملحَ الطعامِ يَصِلُ الفقيرَ والغَنيَّ، كانَ نفْعُ مثْلِ هذا الإجراءِ عامًّا. وكذلكَ الأمرُ بالنسبةِ لإضافةِ فيتامين "دي" إلى حليبِ البقرِ في الولاياتِ المتحدة، فَقَدْ أدَّى هذا الإجراءُ العامُّ مطْلعَ ثلاثيناتِ القرنِ الماضي إلى تَحَوُّلِ مَرَضِ الكُساحِ إلى مَرَضٍ نادرٍ في الولاياتِ المتحدة.

ومِنْ مجالاتِ الرعايةِ الصحيةِ العامةِ في الدولةِ الإسلاميةِ: ١- حمايةُ البيئة. ٢- البيطرة. ٣- الرقابةُ الصحية. ٤- الحجرُ الصحي. ٥- بنك الدم.

حماية البيئة

خَلَقَ اللّهُ سبحانه وتعالى الإنسانَ منَ الأرْضِ، واسْتَعْمَرَهُ فيها، وسَخَّرَ لهُ كلَّ ما في الكونِ لِيَنْتَفِعَ بهِ ويستفيدَ منهُ، فقالَ سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [هود ٦١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الأعراف١٠]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ ﴾ [الجاثية١٣]، وقال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[النحل ١٤].

ولا قيامَ للإنسانِ بغيْرِ الوسَطِ والبيئةِ التي خُلِقَ فيها وسُخِّرَتْ لهُ، وصلاحُ الإنسانِ وصحّتهِ منْ صلاحِ هذهِ البيئةِ واستمرارِها على طَبيعتها. قالَ سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الملك ٣٠]، وقال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ

مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[القصص].

وتشتمل البيئة على عوامل فيزيائية وكيميائية وبيولوجية تؤثّر على الصحّة بشكلٍ مباشر، بل إنّ تأثيرها على الصحة يأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد أنماط الحياة والسلوك الذي يتّبعه الفرد. ففي سنة ٢٠٠٢م كان مردّ ثُلث الأمراض التي يعاني منها الأطفال دون سنّ الخامسة في العالم إلى عوامل بيئية مثل المياه غير النقيّة وتلوث الهواء، وتسببت هذه العوامل بشكلٍ مباشر بثُلث حالات الوفيات والأمراض التي حدثت في البلدان الأقل نمواً. ووفق منظمة الصحة العالمية فإنّه من المُمكن إنقاذ أربعة ملايين من الأطفال دون سنّ الخامسة كلّ عام -في البلدان النامية بالدرجة الأولى- بتوقّي المخاطر البيئيّة مثل المياه غير النقيّة وتلوث الهواء.

وقد حرّمَ الإسلامُ الإضرارَ بالبيئة، لأنّ بها قوامَ الإنسان، وتوعّد اللهُ سبحانه وتعالى المُفسدَ للطبيعة والبيئة بالعقاب، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [البقرة ٢٠٥]، فذكرت الآيةُ الفَسادَ في الأرض، وإهلاكَ الحرث، وهو محلُّ نماء الزروع والثمار، والنسل وهو نتاجُ الحيوانات الذين لا قوام للناس إلا بهما، وإهلاكُ الحرث والنسل كنايةٌ عن اختلال ما به قوامُ أحوال الناس، وكانوا في السابق أهلَ حرثٍ وماشية، فليس المُراد خصوصَ هذين، بل المُرادُ ضياعُ ما به قوامُ الناس، وهذا جارٍ مجرى العلّة، فيُقاس عليه الإضرارُ بالبيئة أيضاً. وقال الطبري والسيوطي أنّ المعنيّ في الآية هو الأخنس بن شريق الثقفي في إحراقه الزرع وقتله الحُمر، فقد أقبل إلى النبي ﷺ في المدينة وقال: "جئتُ أريدُ الإسلامَ، ويعلمُ اللهُ أني لصادقٌ". فأعجبَ النبيَّ ﷺ ذلك منه، ثمّ خرجَ من عند النبي ﷺ، فمرّ بزرعٍ لقومٍ من المسلمين وحُمُرٍ، فأحرق الزرعَ وعقرَ الحُمُرَ. غير أنّ اللفظ في الآية عامّ، والقاعدةُ تقضي أنّ العبرةَ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولذلك كانت الآيةُ عامّةً لجميع الناس، فمن عملَ مثلَ عمل الأخنس استوجبَ اللعنةَ والعقوبةَ. والآيةُ دالّةٌ على أنّ من يتسبّبُ في مثل ذلك مُستحقٌّ للعقاب في الآخرة، ولذلك جاءت خاتمة الآية: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ تحذيراً وتوبيخاً، وهذه قرينةٌ على أنّ النهيَ جازمٌ.

من هُنا فإنّ الحفاظ على البيئة وحمايتها من التلوث والآفات يُعتبرُ من أهمّ ركائز الرعاية الصحيّة، ويتمّ ذلك من خلال قيامِ الدولة بالأمور التالية:

١ـ التقليل من التلويث الصناعي:

الصّناعةُ أساسٌ هامٌّ من أُسس الحياة الاقتصاديّة لأيّة أُمّة أو أيّ شعب في أيّ مُجتمع، وفوق ذلك، فإنّ كونَ الدولة الإسلامية دولةً صاحبة رسالة تحملُ الإسلامَ إلى باقي الأمم بالدعوة والجهاد، يقتضي أنْ تكونَ الصناعةُ في هذه الدولة مبنيّةً على أساس الصناعة الحربية وأنْ تكونَ على أرفعِ درجةٍ من التقدّم والتطور، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ

﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ﴾[الأنفال ٦٠].

إلا أنَّ الصناعةَ الحديثةَ تُنْتجُ انْبعاثات مختلفة في الهواء، وتَدفُّقات سائلة في الأنهار والبحار والمياه الجوفيَّة، ومُخلَّفات صُلْبَة أُخرى، وهنالك أيضاً الفضَلاتُ المُشعَّةُ الناتجةُ عن الصناعات النَّوويَّة. وكلُّ هذه الانبعاثات والمخلفات تؤثِّرُ بصورة أو بأُخرى على صحة الإنسان وتُؤدِّي إلى تلوُّث البيئة وإفسادها. ولذلكَ كانَ فرضاً على الدولة أنْ تُقلِّلَ أوْ تُعالجَ هذه الفضَلات الصِّناعيَّة بصورة تُحافظُ على البيئة وصحَّة الرَّعيَّة، قال ﷺ فيما رواهُ الإمامُ البخاري: **"الإمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعيَّته"**. وروى مُعاذُ بنُ جبلٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قَوْلَهُ: **"اتَّقُوا الْمَلاعنَ الثَّلاثَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وَالظِّلِّ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ"**، رواهُ ابنُ ماجةَ في سُنَنه بسنَد حسَّنَهُ الألبانيُّ. والحديثُ وإنْ لَمْ يكُنْ في الفضلات الصِّناعيَّة، ولكنَّ النهيَ وردَ لمنْع الضَّرر اللاّحق بالمسلمينَ، فيَكونُ علَّةً يُقاسُ عَلَيْها كُلُّ ما آذى المُسْلمينَ في مَواردهم العامَّة وبيئَتهم وطُرُقهم. وقدْ جعلَ الرسولُ ﷺ إماطَةَ الأذى (مُطْلَقَ الأذى) عن الطريق منْ شُعَب الإيمان، فقالَ ﷺ: **"الإيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ"**، رواهُ مُسْلمٌ. وَفَوقَ ذلكَ فَالقاعدَةُ الشَّرْعيَّةُ والحديثُ **"لا ضَرَرَ وَلا ضِرَارَ"** يُوجبُ إزالَةَ الضَّرر الحاصل منَ المُخلَّفات الصِّناعيَّة.

ويكونُ علاجُ هذه المُشْكلَة في الدولة الإسلامية بتَخْصيص مَناطقَ صناعيَّة بَعيدَة عن المناطق السَّكَنيَّة للصناعات المُلَوِّثَة، ومُراقَبَة المُنْشآت الصِّناعيَّة والزِّراعيَّة وأَيَّة مَصادرَ أُخْرى للتَّلوُّث، وإلزامِ تلكَ المنشآت والمصادر - سواءَ ما كانَ منْها داخلاً في المُلْكيَّة الخاصَّة أم العامَّة- باتِّباع أَساليب ونُظُم الإنْتاج النَّظيف، كوحْدات مُعالَجَة الفضلات الصناعية، وبعدَم السَّماح بتَسرُّب المُلَوِّثات للبيئَة المحيطة بما يَتَعدَّى الحدودَ المسموحَ بها، وهذه الحدودُ يقومُ بتَعْيينها أَهْلُ الاخْتصاص منَ العُلماء، بحَيْثُ يُسمحُ فقطْ بالحدِّ الأَدْنى منَ الانْبعاثات والفضَلات التي لا تُؤثِّرُ على التَّوازُن البيئيِّ.

كما وتهتمُّ الدولةُ بإنشاء مصانعَ لإعادة تصنيع الفضلات الصناعية المباحة واستغْلالها ثانيةً كَأَشْكال جديدة منَ المادة والطاقة، وهو ما يُسَمَّى بإعادَة التَّدْوير، للتقْليل منْ كميَّة المُخَلَّفات الصناعية. وما يَتَبقى بعدَ ذلكَ منْ هذه المُخَلَّفات غَيْر القابلَة للاسْتغْلال أو التَّدْوير، فإنَّهُ يَتمُّ التَّخَلُّص منْهُ بالدَّفْن في المناطق النَّائيَة. ويَتمُّ إنْشاءُ فريق منَ العلماء لدراسة واستحداث سُبُل جديدة للتخلُّص منْ هذه المُخَلَّفات غَيْر القابلَة للاسْتغْلال أو التَّدْوير وإزالة خَطَرها وضَرَرها عَن الرَّعيَّة.

وبما أنَّ التلويثَ البيئيَّ منَ المُخالفات الَّتي تَضُرُّ بالجَماعَة، فإنَّ قاضيَ الحسْبَة في الدَّوْلَة الإسلامية هوَ المسؤولُ عنْ مُراقَبَة المصانع والمُنْشآت، للحدِّ منَ الانْبعاثات الضَّارَّة بالبيئَة، ويُمكنُهُ أنْ يستعينَ بأهل العلم والمُخْتصينَ بالبيئَة للقيام بذلكَ، بلْ يَجبُ عليه الاستعانةُ بهمْ لأنَّ ما لا يتمُّ الواجبُ إلا به فَهُوَ واجبٌ. وتُحدَّدُ عقوباتٌ تعْزيريَّةٌ رادعَةٌ بحَقِّ أصحاب المصانع في حال تَعَدِّيهم الحدَّ المسموح

به مِنَ الانْبِعاثات الصناعية، ويُغْلَقُ المصنعُ إنْ لَمْ تَرْدَعْهُ العُقُوباتُ وَاسْتَمَرَّ في تلويث البيئَة.

والبيئَـةُ الطَّبيعيَّـةُ لا تُحَـدُّ بحُـدُودِ الدَّوْلَـة، والمُخَلَّفاتُ المُلَوِّثَةُ مِنْ دولـة مُعَيَّنَـة قَدْ تـؤثِّرُ علـى البيئَة في الدُّوَلِ المُجاوِرَة، خُصوصاً إذا انْتَقَلَت المُلَوِّثـاتُ عـبرَ الهـواءِ أوْ مجـاري الميـاه. ولـذلك يجبُ على الدولة الإسلامية مَنْعُ الدُّوَلِ المجاوِرَة مِـنْ تَلْويـثِ البيئَـة ومَنْعُهـا مِـنْ إلْقـاءِ مُخَلَّفاتِهـا الصناعيَّة في أَراضي الدولة الإسلامية، ويُعْتَبَرُ أيُّ تجاوزٍ لهذه الشُّروطِ مِنْ قِبَلِ الدُّوَلِ المجاوِرَة تَعَدِّيًا على الدولة الإسلامية ورَعاياها يَسْتَوْجِبُ إعْـلانَ الجهـادِ والحَـرْبِ أوْ تَراجُـعَ تلـكَ الـدُّوَلِ عَنِ التَّلْويث.

أَمَّـا فيمـا يخـصُّ الاتفاقيـات والمعاهـدات الإقليميـــة والدوليـــة بخُـــصوصِ التلويـــث الـصِّناعيِّ، كبروتوكـول كيوتـو الخـاصِّ بالاحْتِبـاسِ الحَـرَارِيِّ والمُلْحَـقِ باتِّفاقيَّـة تَغَيُّـرِ المناخ ٢٠٠٣م، واتفاقيـة استوكهولم للْمُلَوِّثـات العُـضْوِيَّة الثَّابتَـة سـنة ٢٠٠٤م وغيرهـا مِـنَ الاتفاقيـات، فَيُنْظَـر، فمـا كـانَ مِـنْ هـذه الاتفاقيـات والمعاهـدات تَحْـتَ مظَلَّـة المُنَظَّمـات الَّـتي تقـومُ علـى غيرِ أَسـاسِ الإسـلامِ أوْ تُطَبِّقُ أَحْكامًا غيرَ أَحْكامِ الإسـلامِ، كَهَيْئَة الأُمَمِ المُتحـدة ومحكمـة العـدلِ الدَّوْلِيَّـة وصُـندوقِ النَّقْدِ الـدَّوْلِيِّ، والبنـك الـدَّوْلِيِّ، وكالمنظمـات الإقليمية مثل الجامعة العربيَّة وغيرها، فإنـه لا يجوزُ للدولة أَنْ تَشْتَرِكَ فيها إنِ اشْتُرِطَ عليها أَنْ تَكُونَ عُضْواً في هـذه المنظمـات. وَحَتَّـى لَـوْ لَمْ يُشْتَرَطْ على الدولة الإسلامية أَنْ تَنْضَمَّ إلى هذه المنظمات، فإنَّ عَقْدَ اتفاقيـات ومعاهـدات مَعَ هذه المنظمات يُساهِمُ في تَقْوِيَتِها مَعْنَوِيًّا. وذلـكَ لأَنَّ الموضوعَ الـذي قامَـتْ عَلَيْـه مثـلُ هــذه المُنَظَمــات الدوليــة والمُنظمــات المحليَّــة يُحَرِّمُهُ الشَّرْعُ، فهيئَـةُ الأُمَمِ تقومُ علـى أسـاسِ النِّظـامِ الرأسمـاليِّ وهـو نظـامُ كُفْـر، عـلاوةً على أنَّها أداةٌ في يد الدولِ الكُبرى ولا سيَّما أميركـا، تُسَخِّرُهـا مِـنْ أَجْلِ فَـرْضِ سيطَرَتِها على الدول الصُّغْرى، ومنها الـدولُ القائمَـةُ في العالمِ الإسلاميِّ. لذلكَ نرى أنَّ الدولَ الكُبرى تُوَقِّـعُ علـى الاتفاقيـاتِ الـتي تَـضْمَنُ مـصالحَها علـى حسـابِ بـاقي الـدولِ فَقَـطْ، وعلـى سـبيلِ المثـالِ فـإنَّ أميركـا رفـضَت التوقيـعَ علـى بروتوكـول كيوتـو الـذي يَتَـضَمَّنُ تخفـيضَ انبعاثـاتِ الغـازاتِ الـسَّامَة مِـنْ قِبَـلِ الـدُّوَلِ الصِّناعيَّة بنِسْبَة ٥,٢ بالمائة، خوفًا مِنْ أَنْ تَتَأَثَّرَ صناعاتُها، عِلْمًا أنَّ أَميركا مَسؤُولَةٌ عَنْ رُبْعِ كَمِّيَّات الغازات الصناعية المُنْبَعِثَة في الجوِّ.

وَلذلكَ يَعْمَلُ على هَدْمِ هذه المنظمات بَدَلَ تَقْوِيَتِهـا بعَقْـدِ المعاهـدات والاتفاقيـاتِ معهـا، وَعلـى اسـتبدالها بِمُنَظَّمَـة عالميَّـة جديـدة، لا يكـونُ للـدولِ العُظْمَـى عَلَيْهـا هَيْمَنَـةٌ وَلا سُلْطانٌ، وَلا تكـونُ بمثابَـة دولَـة عالميَّـة، بَـلْ تقومُ هذه المُنَظَّمَةُ الجديدةُ على احترام قواعد متعارف عليها من جميع المجموعات البشرية، ويقرهـا الإسـلام، مثـل انـصاف المظلوم ومنـع الظلم وما يسمى بحصانة السفراء... وهكذا، ومن ثم إشاعَة العَدْلِ بَيْنَ البشريَّة جمعاءَ، بِمَا لَهَـا مِـنْ قُـوَّة مَعْنَوِيَّـة تَتَمَتَّـعُ بهـا، وَمِـنْ قُـوَّة رَأْيٍ عـامٍّ عـالميٍّ يؤازرُهـا ويُوليهـا تَأْييـدَهُ ويَمْنَحُهـا احترامَـهُ وَثِقَتَـهُ، لِكَوْنِهـا منظمـةً لا تَعْمَـلُ لحسابِ دولَة مِنَ الدُّوَلِ، وَإنَّما تعملُ لمصلحة البـشرية جمعـاءَ، وتكـونُ مِثْلَ حِلْفِ الفُضُولِ الذي قامَ قَبْلَ البِعْثَة، حيث تعاهـدوا فيه علـى رفـع الظلـم وإنـصاف المظلـوم، وقـد حَـضَرَهُ

رَسولُ اللّه ص وَقالَ عَنْهُ بَعْدَ البِعْثَةِ: **"لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ، وَلَوْ أُدْعَى بِهِ فِي الإِسْلامِ لأَجَبْتُ"**، رَواهُ ابنُ هِشامٍ في سيرته. وروى أحمدُ في مُسْنَدِه عَنْ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ ﷺ عَنِ الرسولِ ﷺ قالَ: **"شَهِدْتُ حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ مَعَ عُمُومَتِي وَأَنَا غُلامٌ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ وَأَنِّي أَنْكُثُهُ"**، والحديثُ صَحَّحَهُ الألبانيُّ في السلسلة الصحيحة، والمقصودُ بِحِلْفِ المُطَيَّبِينَ في الحديثِ هُوَ حِلْفُ الفُضُولِ، لأَنَّ أَصْحابَهُ هُمْ في الأَصْلِ مِنْ جَماعَةِ المُطَيَّبِينَ، والرَّسولُ ﷺ لَمْ يَشْهَدْ حِلْفَ المُطَيَّبِينَ.

أمَّا مُعاهداتُ واتفاقياتُ مَنْعِ التَّلَوُّثِ البيئيِّ التي تعقدُها دولةُ الإسلامِ معَ غَيْرِها منَ الدُّوَلِ خارجَ مظلَّةِ المُنَظَّماتِ الدُّوَلِيَّةِ، فهيَ جائِزَةٌ إنْ كانَ موضوعُ التعاقُدِ قَدْ أَجازَهُ الشَّرْعُ، وَكانَتْ هذه المعاهداتُ لا تُؤَثِّرُ على كيانِ الدولةِ، ولا تَنْقصُ مِنْ سُلْطانها الداخليِّ والخارجيِّ، ولا تجعلُ للكافرِ سُلطانًا عليها، كأَنْ تُخْرِجَ الموادَّ الخامَّ منَ البلادِ، أوْ تُسَبِّبَ إقْفالَ مصانعِ البلادِ أوْ ما شاكَلَ ذلكَ. وَإِنَّما تُحَدَّدُ المعاهداتُ بِما لا ضَرَرَ مِنْهُ وتُمْنَعُ مِنْ كُلِّ ما فيهِ ضَرَرٌ عملاً بالقاعدةِ الشرعيةِ "كُلُّ فَرْدٍ مِنْ أفرادِ المُباحِ إذا كانَ يُؤَدِّي إلى ضَرَرٍ يُمْنَعُ ذلكَ الفَرْدُ ويَبْقى الأَمْرُ مُباحًا". وَهذهِ القاعدةُ اسْتُنْبِطَتْ مِنْ مَنْعِ الرَّسولِ ﷺ أفرادَ الجيشِ أَنْ يَخْرُجوا مُنْفَرِدينَ لَيْلاً وَهُوَ في طَريقِهِ إلى تبوكَ، ثُمَّ تَبَيَّنَ أَنَّهُ إِنَّما حَرَّمَ على الجيشِ الخروجَ مُنْفَرِدينَ لِما ثَبَتَ لَهُ فيهِ مِنْ ضَرَرٍ، فَكانَ الضَّرَرُ في هذا الأَمْرِ المُعَيَّنِ هوَ سَبَبُ تحريمِهِ، فكأَنَّهُ كانَ عِلَّةً. ووجودُ الضَّرَرِ في خُروجِ الشخصِ مُنْفَرِدًا في تلكَ الليلةِ ومِنْ ذلكَ المكانِ حَرَّمَ خُروجَ الشَّخْصِ منفرداً هناكَ في تِلْكَ الليلةِ، وَلكِنْ ظَلَّ خُروجُ الشَّخْصِ مُنْفَرِدًا مُباحًا في غيرِ ذلكَ المكانِ وفي غيرِ تلكَ الليلةِ. وَإِذَنْ، وجودُ الضررِ لَمْ يُحَرِّمْ ما أَباحَهُ الشرعُ، وإنَّما وُجودُ الضررِ في فَرْدٍ مِنْ أَفْرادِهِ يُحَرِّمُ ذلكَ الفردَ ولكنْ يَظَلُّ الأَمْرُ مُباحًا.

والدليلُ على جَوازِ عقدِ المعاهداتِ البيئيةِ مَعَ الدولِ، هو دليلُ جوازِ عَقْدِ المعاهداتِ العامِّ، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ**﴾[النساء ٩٠]، وقولهِ سبحانهُ وتعالى: ﴿ **وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ**﴾[النساء٩٢] وقولهِ سبحانهُ وتعالى: ﴿ **وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ** ﴾ [الأنفال٧٢]، والميثاقُ في هذهِ الآياتِ هوَ المعاهدةُ. كما أنَّ الرسولَ ﷺ عقدَ معاهدةً مَعَ يُحَنَّةَ بْنِ رُؤْبَةَ، صاحبِ أَيْلَةَ، وعقدَ معاهدةً مع بَني ضَمْرَةَ.

وتُطَبَّقُ في هذهِ المعاهداتِ الشروطُ التي تَضَمَّنَتْها، ويجبُ أَنْ يتقيَّدَ المسلمونَ بهذهِ الشُّروطِ لقولِهِ ﷺ: **"المسلمونَ عِنْدَ شُروطِهِم"**، صَحَّحَهُ الأَلْبانيُّ، على أَنْ لا يكونَ هذا الشرطُ مُناقضًا للإسلامِ، فإِنْ كانَ مُناقضًا للإسلامِ رُفِضَ لقَوْلِهِ ﷺ: **"كُلُّ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ"**، رواهُ ابنُ ماجه وَصَحَّحَهُ الأَلْبانيُّ، فيقومُ المسلمونَ بتنفيذِ هذهِ الشروطِ حسبَ ما وردتْ في نُصوصِ المعاهداتِ على أَنْ لا تُخالفَ الإسلامَ.

٢ ـ نظافة مصادر المياه وجودة ماء الشرب:

الماءُ مادةٌ ضروريَّةٌ لا تقومُ حياةٌ بدونها، ولا يستوي أيُّ كائنٍ إنْ لم يتوفَّر له الماءُ الصالحُ، يقولُ الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء٣٠]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [النحل].

وكما أنَّ الماءَ ضروريٌّ لكُلِّ كائنٍ حيٍّ، فهو ضروريٌّ لوجود الحياة الجماعيَّة واستمرارها، لأنهُ مَرفقٌ منْ مَرافقِ الجماعة، إنْ لمْ يتوفَّر تفرَّقت الجماعةُ في طلبه، لذلكَ جاءَ الشرعُ بمجموعةٍ منَ الأحكامِ الخاصةِ بهذا المَوْرد الحيويِّ، لضمانِ حفظه وتوفيره صالحًا لكُلِّ الرَّعيَّة. فقدْ عدَّ الإسلامُ الماءَ ملكيَّةً عامةً لتمكينِ جميعِ أفرادِ الرَّعيَّة منَ الانتفاعِ به، فعنْ أَبِي خِدَاشٍ عنْ بعضِ أَصحابِ النبيِّ ﷺ قال: "**غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثَلاثًا أَسْمَعُهُ يَقُولُ: الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلاثٍ، فِي الْكَلإِ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ**"، رواهُ أبو داود في سُننه وصَحَّحَهُ الألبانيُّ، وفي روايةٍ أُخرَى: "**النَّاسُ شُرَكَاءُ فِي ثَلاثٍ**". وروى ابنُ ماجةَ بسند صَحَّحَهُ الألبانيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "**ثَلاثٌ لا يُمْنَعْنَ: الْمَاءُ وَالْكَلأُ وَالنَّارُ**"، وروى البُخاريُّ في صَحيحه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: "**ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**" وَمِنْهُم: "**رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِطَرِيقٍ يَمْنَعُ مِنْهُ ابْنَ السَّبِيلِ**"، وروى أحمدُ في مُسنده عنْهُ عليه وآله أفضلُ الصَّلاة والتَّسْليم: "**لا يُمْنَعُ نَقْعُ مَاءٍ فِي بِئْرٍ**"، والحديثُ صَحَّحَهُ حَمْزَةُ أَحْمَدُ الزَّيْنُ وأَخرجَهُ الحاكمُ وقال: "صحيحُ الإسناد"، وذَكَرَ الشَّوْكانيُّ في نيلِ الأوطارِ بسند صحيحٍ عَنْ عُبادَةَ بنِ الصَّامت **أنَّ رسولَ الله ﷺ قَضَى بينَ أَهلِ المدينةِ في النَّخلِ أنْ لا يُمْنَعَ نَقْعُ بِئْرٍ، وقَضَى بينَ أهلِ الباديةِ أنْ لا يُمْنَعَ فَضْلُ ماءٍ ليُمْنَعَ الكَلأُ**. ونَقْعُ البئرِ- الماءُ المُجتمعُ فيها قَبْلَ أَنْ يُسْتَقَى.

ونلاحظُ أنَّ المسلمينَ قدْ أدركوا أهميةَ الماءِ منذُ نشوءِ الدولةِ الإسلامية في المدينة، فقدْ روى الأمامُ أحمد بسند صَحَّحَهُ أَحْمَدُ شاكر عنْ عثمانَ بن عفان رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا بِئْرٌ يُسْتَعْذَبُ مِنْهُ إِلا رُومَة، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**مَنْ يَشْتَرِيهَا مِنْ خَالِصِ مَالِه فَيَكُونَ دَلْوُهُ فِيهَا كَدُلِيِّ الْمُسْلِمِينَ وَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ؟**" فَاشْتَرَاهَا عثمانُ رضي الله عنه منْ خَالصِ مَالِه. وقد نزلَ الرسولُ ﷺ عندَ رأْيِ الحُبابِ بنِ المنذرِ بأَنْ يُعَسْكِرَ الجيشُ في بدرٍ عندَ أَدْنَى ماءٍ منَ القومِ، ثمَّ يُغَوِّرُوا ما وراءَهُ منَ الآبارِ، ويبنُوا عليهِ حوضًا يملؤُوهُ ماءً حتى يشربَ جيشُ المسلمينَ ولا يشربَ المشركونُ.

والماءُ كَما هوَ لازمٌ للشُّرْبِ والطَّهْي والتنظيفِ فهوَ لازمٌ لريِّ المزروعاتِ وتربيةِ الحيواناتِ ولإقامةِ الصِّناعات، ولكلِ نوعٍ مواصفاتٌ تختلفُ باختلافِ استخداماته.

وقد يتلوَّثُ الماءُ بفعلِ الإنسانِ نتيجةً لما يستخدمهُ منْ موادٍ في الصناعةِ والزراعة، كالمعادنِ الثقيلةِ مثلِ الرَّصاصِ والزِّئْبَقِ، والكيماويات والمُرَكَّبات الخَطِرَةِ مثل المبيدات الحشرية والمُخَصِّبات. وقد يتلوثُ الماءُ أيضًا نتيجةً لمواد طبيعية المَنْشَأ، مثل معدنِ الزِّرْنيخِ أو الكائناتِ الدقيقةِ المُسَبِّبَةِ للأمراضِ منْ

بكتيريا وفيروسات وطُفَيْليَّات كالكائنات أُحاديَّة الخليَّة والدِّيدان. وهذه المُلَوِّثاتُ تجعلُ الماءَ غيرَ صالحٍ للاستخدام. ويمكنُ تشخيصُ بعضِ الملوثاتِ بسهولة بتَقْييم طَعْمِ ورائحةِ ودرجة تَعَكُّرِ المياه، غيرَ أنَّ اكتشافَ بعضها يَتَطَلَّبُ اختباراتٍ خاصَّةً للكشف عمَّا إذا كانت المياهُ ملوثةً أم لا. وإذا تُركَتْ هذه الملوثاتُ دونَ معالجة فمنَ المُمْكِنِ أنْ تُسَبِّبَ طائفةً كاملةً منَ الأمراضِ المُتعلقة بالماء، والتي تُلْحِقُ ضَرَرًا كَبيرًا بصحَّةِ الإنسان. ووَفْقَ منظمة الصحة العالمية، فإنَّ أكثرَ منْ مليار نسمة على مُستوى العالمِ محرومونَ منْ مياهِ الشُّربِ النظيفة، ويموتُ سَنَويًا ما لا يَقِلُ عنْ أربعة ملايينَ شخصٍ مُعظَمُهُم منَ الأطفالِ بسببِ الأمراضِ الناتجة عنْ تلوثِ مياه الشُّرْبِ، كأمراضِ الحُمَّى التِّيفيَّة والكوليرا وداء المُنْشَقَّات (البِلْهارسْيا) والزُّحَارُ (الدُّوسِنْطَّارْيا) وأمْراضِ الإسْهالِ الأُخْرى.

وقد أمرَ الإسلامُ بالحفاظ على جودة المياهِ ونَظافَتِها، وحذَّرَ أشدَّ التحذير منْ تلويثِ مصادرِ المياه، فعنْ معاذ بنِ جبلٍ ﷺ قالَ: لقد سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: **"اتَّقُوا الْمَلاعِنَ الثَّلاثَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وَالظِّلِّ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ"**، رواهُ ابنُ ماجةَ في سُنَنِه بسَنَد حَسَّنَهُ الألبانيُّ، وقالَ ﷺ: **"لا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ"**، رواهُ مسلمٌ في صحيحه، وروى ابنُ ماجةَ بسند صَحَّحَهُ الألبانيُّ عنْ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ ﷺ أنَّهُ قالَ: **"أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نُوكِيَ أَسْقِيَتَنَا وَنُغَطِّيَ آنِيَتَنَا"**، وذلكَ حِفظًا لمَا تحويه هذه الآنيةُ منَ الماء.

ولذلكَ كانَ منَ الواجبِ على الدولةِ الإسلامية أنْ تهتمَّ بنظافةِ مصادرِ المياهِ ومُراقَبَةِ جَوْدَةِ ماءِ الشُّرْبِ وخُلُوِّهِ منَ الملوِّثات، عنْ طَرِيقِ إنْشاءِ مختبرات خاصة لهذا الهدف، وإقامةِ مَحَطَّاتٍ لمُعالجَةِ المياهِ وتَطْهيرِها منَ المُلَوِّثات، لأنَّ الرَّاعِيَ -وهوَ الإمامُ- مَسْؤُولٌ عنْ رَعِيَّته، وَانطلاقًا منَ القاعدة الشرعية الواسعة القاضية بأنْ لا ضَرَرَ ولا ضِرارَ، وتَطْبيقًا للأحاديثِ السابقة التي تُحَرِّمُ تلويثَ المياهِ العامة التي هيَ مِلْكٌ لكافة المسلمين. ويَتَوَلَّى جهازُ الحسبة في الدولة الإسلامية مراقبةَ المياهِ وجودَتها وتقريرِ عقوبةِ الأفرادِ أوِ الشركاتِ والمصانعِ التي تُلَوِّثُ مصادرَ المياهِ بحيثُ تكونُ العقوبةُ رادعةً ومُزيلةً للتَّلَوُّثِ الحاصلِ.

٣- الحفاظ على الغابات والأحراش:

تُشَكِّلُ الغاباتُ والأحراشُ الطبيعيةُ رئَةً طبيعيةً مُكَمِّلَةً لدورة الحياة على الأرض، فالنباتاتُ تقومُ بالتقاطِ ثاني أكسيد الكربونِ منَ الجوِّ، وامتصاصِ الماءِ والموَّادِ الأساسيةِ منَ التربة، وتُحَوِّلُها عنْ طريقِ التمثيلِ الكلوروفيليِّ إلى أُكسجين تُطْلقُهُ في الجوِّ، وإلى موادَ غذائيةٍ تختزنُها في الورقِ والثَّمَرِ. ولذلكَ كانتِ الغاباتُ والأحراشُ ضروريةً لبقاءِ الحياةِ واستواءِ نظامِ الطبيعةِ مُتَّزِنًا، حيثُ إنَّ الإنسانَ والحيوانَ بحاجة إلى هذا الأُكسجين والموادِّ الغذائية، وأنَّ بعضَ الحيواناتِ تحتاجُ هذه الغابات كأوساطٍ بيئيةٍ تعيشُ فيها. لذلكَ كانَ الحفاظُ على الغاباتِ والأحراشِ لازمًا للحفاظ على الدورة الحياتيَّة، وكانَ على الدولة الإسلامية أنْ تهتمَّ بحمايةِ هذه الغاباتِ والأحراشِ منَ القَطْعِ أو الإزالَة، وتحميَ الكائناتِ الحيَّةَ فيها منَ الصيدِ أوِ التهجير، ما دام هذا لازمًا لبقاءِ الدورة

الحياتية الطبيعية مكتملةً صحيحةً.

وتُعْتَبَرُ الأحراشُ الطبيعيةُ والغاباتُ من الأَعيانِ التي تمنعُ طبيعةُ تكوينها اختصاصَ الأفرادِ بحيازَتها، ولذلكَ تكونُ منَ الملكياتِ العامَّةِ، ولا يجوزُ لغيرِ الدَّولةِ أنْ يحميَ ما هُوَ لعُمومِ الناسِ، لقولِه ﷺ فيما رواهُ أبو داود في سُنَنِه وصحَّحَهُ الألبانيُّ: "**لا حِمَى إلاَّ للَّه ولِرَسُولِه**"، أي لا حِمَى إلا للدولةِ. وللدولةِ أَنْ تحميَ منَ الملكياتِ العامة ما تحتاجُهُ لمصالحِ المسلمينَ، والدليلُ على ذلكَ أَنَ النبيَّ ﷺ حَمَى النَّقيعَ -هوَ موضعٌ معروفٌ بالمدينة- لِخَيْلِ المسلمينَ، كما رَوى أبو عُبَيْدٍ عنْ ابنِ عمر رضي الله عنه، وكذلكَ حَمَى أبو بكرٍ رضي الله عنه الرَّبَذَةَ لإبلِ الصدقةِ، وحَمَى عمر رضي الله عنه الشَّرَفَ والرَّبَذَةَ.

والحفاظُ على الدورةِ الحياتيةِ وميزانِ الطبيعةِ بإنشاءِ محمياتٍ طبيعيةٍ وغاباتٍ منْ مصالحِ المسلمينَ، لذلكَ تحمي الدولةُ ما يكفي منْ هذهِ المحمياتِ لهذا الهدفِ، وتمنعُ قَطْعَ هذهِ الغاباتِ أوِ الصيدَ فيها. ويكونُ القرارُ بحمايةِ أَرْضٍ مُعينةٍ دونَ أُخْرى راجعًا لتقديرِ الخليفةِ وَفْقَ ما يَراهُ منْ مصلحةِ المسلمينَ، ولا يُلْتَفَتُ إلى الضغوطِ الدوليَّةِ المُتَذَرِّعَةِ بحمايةِ البيئةِ لتحديدِ ما يُحْمى منْ أراضي الدولةِ الإسلاميَّةِ. وتُراعي أَيْضًا في حمايةِ الأَراضي وزراعةِ الغاباتِ قَضيةَ مُقاوَمةِ التَّصَحُّرِ، وتُشَجِّعُ الدولةُ رَعيَّتَها كذلكَ على زراعةِ المناطقِ التي تُعاني منْ خطرِ التَّصَحُّرِ منعًا لامتدادِه.

٤- الصرف الصحي:

الصرفُ الصحيُّ هوَ الإدارةُ السليمةُ بيئيًّا وصحيًّا للنفاياتِ، وهوَ يَشْمَلُ تصريفَ مياهِ المجاري والأمطارِ... ومعالجة مُخَلَّفاتِ الصناعةِ والزراعةِ على نَحْوٍ يحمي البيئةَ وصحةَ الرعيةِ منْ تأثيراتِ هذهِ الفضلاتِ.

وتكمنُ أهميةُ الصرفِ الصحيِّ في الضررِ الجَسيمِ الذي يمكنُ أنْ يُسبِّبَهُ سوءُ الإدارةِ في هذا المجالِ على التوازُنِ البيئيِّ وصحَّةِ الجماعةِ، فالتقديراتُ تُشيرُ إلى أَنَّ ٨٨٪ منَ العبءِ العالميِّ للأمراضِ يُعْزَى إلى إمداداتِ المياهِ غيرِ المأمونةِ وانعدامِ الصرفِ الصحيِّ والنظافةِ الصحية. ويعيشُ ٢،٦ مليارِ شخصٍ في العالمِ -منهمْ مليارُ طفلٍ على وجهِ التقريبِ- في ظلِّ انعدامِ القواعدِ الأساسيةِ للصرفِ الصحيِّ. وتُشيرُ التقاريرُ الغربيةُ إلى أَنَّ طفلاً واحداً يُفارقُ الحياةَ كلَّ عشرينَ ثانيةً نتيجةَ رداءَةِ الصرفِ الصحيِّ، أيْ ما يقاربُ ١،٥ مليونَ وفاةٍ سنوياً. وقدْ اعتبرتِ المجلةُ الطبيةُ البريطانيةُ في استطلاعٍ أجرتهُ معَ مجموعةٍ منَ المختصينَ أَنَّ الإنجازَ الصحيَّ الأهمَّ مُنْذُ سنة ١٨٤٠م هوَ الصَّرْفُ الصحيُّ، وقدْ فاقَ في الأهميةِ اكتشافَ المُضَادَّاتِ الحيويةِ وجميعَ إنجازاتِ القرنِ العشرين الطبيةَ.

لذلكَ كانَ منَ الواجبِ على الدولةِ أَنْ تُهَيِّئَ شبكاتٍ للصرفِ الصِّحِّيِّ في التجمعاتِ السَّكَنيَّةِ لتصريفِ مياهِ المجاري والفضلاتِ، وأنْ تقومَ أيضًا بإنشاءِ مراكزَ لعلاجِ هذهِ الفضلاتِ، بدَفْنِها أو حرقِها أوْ إعادةِ تدويرِ النفاياتِ غَيْرِ النجسةِ منها واستغلالِها مُجَدَّدًا، منْ بابِ رعايةِ الشؤونِ ومنعِ الضررِ. ومن هذا البابِ أيضًا ينبغي أنْ تكونَ المزابلُ ومراكزُ مُعالجةِ الفضلاتِ بعيدةً عنْ التجمعاتِ السكنيةِ وموارِدِ المياهِ.

أمَّا بالنسبةِ لإعادةِ تدويرِ الفضلاتِ النجسةِ كالبَرازِ والبَوْلِ وغيرِها وتحويلِها إلى موادَّ

نقيةٍ لاستعمالِها مُجَدَّداً، فلا يجوزُ شرعاً، لأنَّ النجاساتِ لا يحلُّ الانتفاعُ بها مُطْلَقاً، لا بالاستعمالِ ولا بالبيعِ ولا بالإهداءِ ولا بالإرثِ، ولا تُعدُّ مالاً محترماً مُقوَّماً شرعاً، باستثناءِ جلْدِ الميتَةِ بعدَ دباغه، لورود النصِّ باستثنائه، فقدْ جاءَ في السُّنَنِ الكبرى للْبَيْهَقِي أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قالَ: "**طَهُورُ كُلِّ إِهَابٍ دِبَاغُهُ**"، وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ أَنَّ رُوَاتَهُ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ.

وعليه فإنَّ ما تقومُ به بعضُ الدولِ منْ تَقْطِيرِ الأَبوالِ والعذرِ كمياهِ مجاري المُدُنِ لتَسْتَخْرِجَ منْها الماءَ المُقَطَّرَ لاستعماله والانتفاع به هو حرامٌ لا يجوزُ للمسلمينَ أنْ يفعلوهُ، بل الواجب التخلص من هذه النجاسات بدفنها أو حرقها... وإذا رأت الدولة الإسلامية أن التخلص منها بعد تحويلها إلى مواد أساسية هو أفضل للبيئة وإبعاداً للضرر عن الرعية، كتحويلها إلى مياه مقطرة ثم إعادتها للبحار أو دفنها، إذا رأت ذلك، فإنه يجوز للدولة هذا الفعل بالفضلات النجسة للتخلص منها وليس لاستغلالها أو استعمالها. وذلك لأن الحرمة واقعة على الانتفاع بالنجاسة، أما مجرد تكريرها للتخلص منها دون الانتفاع بها، بل لإزالة الضرر الناتج عنها، فلا حرمة فيه.

٥- الهندسة الصحية للبيئة السكنية:

إنَّ هندسةَ المُدُنِ والتجمعاتِ السكنيةِ في الدولةِ الإسلاميةِ يجبُ أَنْ تُراعيَ صحةَ الرعيةِ وراحَتَهُم، وذلكَ بالحدِّ منَ التَّلَوُّثِ والضجيجِ والضوضاءِ بأَنْ تكونَ البيوتُ بعيدةً عنِ المصانعِ وورشاتِ العملِ المختلفةِ، وأنْ تكونَ الطرقُ السريعةُ والقطاراتُ والمطاراتُ معزولةً عنِ البيوتِ والسُّكانِ بحواجزَ صَوْتِيَّةٍ.

وعلى الدولةِ أيضاً أنْ تمنعَ الأفرادَ منْ إصدارِ الضجيجِ في أوقاتِ الراحةِ كساعاتِ الليلِ، وقدْ قالَ لُقْمَانُ لابنِه وهوَ يَعِظُهُ: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ [لقمان ١٩]. وتقومُ الدولةُ بهذا المنعِ إزالةً للضررِ الواقعِ بالرعيةِ جرَّاءَ هذه الضوضاءِ، ويتولَّى المحتسبُ مسؤوليةَ مُراقبةِ وعلاجِ هذا الجانبِ كَوْنَهُ منَ المخالفاتِ التي تضرُّ حقَّ الجماعة.

وَقَدْ نَقَلَ الحافظُ ابنُ حَجَرٍ في الفتحِ عَنْ عُمَرَ بْنِ شَبَّةَ في "أَخْبَارِ الْمَدِينَةِ" بإِسْنَادٍ لَهُ إِلَى أَبِي مَوْدُودٍ قَالَ: "رَأَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ كِيرَ حَدَّادٍ فِي السُّوقِ فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ حَتَّى هَدَمَهُ"، ولا يَخْفَى أَنَّ الكيرَ -وَهُوَ الزقُّ الَّذي يَنْفُخُ فيه الْحَدَّادُ أَوْ حانوتُ الحَدَّادِ- يُسَبِّبُ الأَذَى وَيُلَوِّثُ الهَوَاءَ بِدَخَنِهِ وَخُبْثِهِ وَضَجِيجِه، وَلِهذا أزالَهُ أميرُ المُؤْمنينَ عُمَرُ منَ السوقِ لأَنَّهُ مَكَانٌ عَامٌّ يَؤُمُّهُ النَّاسُ.

وتهتمُّ الدولةُ بأنْ تُصَمِّمَ هندسةُ المُدُنِ والتجمعاتِ السكنيةِ بشكلٍ يَسْمَحُ بالتهوئَةِ السَّليمَةِ، ويمنعُ اكتظاظَ السُّكانِ، وَيُسَهِّلُ عَمَلِيَّةَ الصرفِ الصحيِّ وتنظيفَ الشوارعِ وإزالةَ النفاياتِ.

ويجبُ على الدولةِ أنْ تُراعيَ المشلولينَ والعميانَ وأصحابَ الإعاقاتِ المختلفةِ بتسهيلِ المواصلاتِ والطُّرُقِ ومُلائَمَتِها لحاجاتِهِمُ الخاصَّةِ، وخاصةً في المؤسساتِ العامةِ كالمدارسِ وبناياتِ الدولةِ، وهذا منْ رعايةِ الشؤونِ الواجبةِ على الإمامِ. وكذلكَ على الدولةِ أَنْ تَهْتَمَّ بإنشاءِ المُتَنَزَّهاتِ والملاعبِ الآمنةِ للأطفالِ وبقيةِ السكانِ بحيثُ لا يتعرَّضُ الأطفالُ لمخاطرِ اللعبِ في الأماكنِ غيرِ الآمنة □

بسم الله الرحمن الرحيم

مشكلة البيئة من إفرازات الرأسمالية الجشعة

أسبابها وكيفية معالجتها في نظر الإسلام

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم ٤١]. **بمناسبة انعقاد المؤتمر الدولي الذي تعقده الأمم المتحدة في العاصمة الدنمركية كوبنهاجن ما بين ٧ـ١٨/١٢/٢٠٠٩م حول مشكلة البيئة، أصدر حزب التحرير ـ الدنمرك كتيباً تناول فيه مشكلة البيئة وبيّن أسبابها وكيفية معالجتها من وجهة نظر الإسلام. ونحن نعرض هنا في المجلة بعض ما ورد في الكتيب.**

الواقع والمشكلة

إن البيئة أو البيئة الطبيعية بمفهومها الواسع مصطلح يشمل جميع الكائنات الحية والأشياء غير الحية التي توجد أو تحدث بشكل طبيعي على الأرض أو على جزء منها. ولقد شهدنا ولمدة طويلة كوارث بيئية متتالية، فالدول والشركات الغربية أتلفت مباشرة أو بطريق غير مباشر الغابات والأنهار وقضت على الكثير من الحيوانات حتى أصبح بعضها مهدداً بالانقراض، الأمر الذي دعا منظمات حماية الحيوان إلى جمع التواقيع المستنكرة لهذه الأعمال. وفي هذه الأيام يتم إرسال ملايين من أطنان النفايات من الدول الغربية الصناعية إلى ما يسمى دول العالم الثالث وقد أصبحت هذه الأعمال تجارة ضخمة رابحة. وكان من نتيجة ذلك تلوث الأراضي والأنهار في تلك البلدان لأن جزءاً كبيراً من هذه النفايات هو نفايات سامة من مثل البطاريات، والرصاص الثقيل وهي ذات تأثير مباشر على الجهاز العصبي للإنسان. وقد أدى ذلك إلى وفاة كثير من العمال وإلحاق الضرر بآلاف آخرين.

لكن نقاش موضوع البيئة والمناخ الذي دار بين الإعلاميين والسياسيين الغربيين أدى إلى إيجاد سوء فهم هيأ لإهمال قضايا حقيقية متعلقة بالبيئة بأكملها، فالبعد الواسع الذي أخذه النقاش حول المناخ قد صرف الأنظار عن التركيز على بقية المشاكل البيئية التي يواجهها العالم الآن! ولذلك فإن النقاش لا ينبغي أن يقتصر على التغيير المناخي والحد من انبعاث أوكسيد الكربون، بل يجب أن يركز على السلوك المتهور، الذي تقوم به الدول والشركات الغربية إلى جانب النقاش حول البيئة، بما في ذلك تغير المناخ، وكيفية تأثيره على البشر. فالحد من انبعاث أوكسيد الكربون وحده، في الوقت الذي يلوث فيه العالم بكل وسيلة، لن يزيل الكوارث البيئية التي كان للعالم الثالث النصيب الأكبر منها. ولذا فإن المجادلات والمناظرات العلمية الجارية حول تأثير سلوك الإنسان البسيط في تسغيير المناخ هي في واقع الأمر نقاشات مضللة. ونحن هنا لسنا بصدد مناقشة الأمور العلمية التجريبية، غير أنه ينبغي لفت النظر إلى أن الجامعات والمؤسسات العلمية في الغرب تعتمد في تمويل كثير من أبحاثها على المساهمات

المقدمة من الشركات، الأمر الذي يجعل طبيعة هذه الأبحاث والنتائج التي تصل إليها محل شك ونظر، خصوصاً إذا تعلق الأمر بمصالح الشركات الكبرى.

إن ما يجب أن يناقش هو: كيف يمكن تجنب المخاطر البيئية كلها؟ وما هو سبب الكوارث البيئية التي شهدها العالم؟ ومن الذي يتحمل المسؤولية عن ذلك؟ وهل السعي لتحقيق التقدم الاقتصادي لابد أن يكون على حساب البيئة؟

الحل الرأسمالي للقضية

من اتفاقية كيوتو إلى مؤتمر كوبنهاغن ١٥ (**Cap and trade system Kyoto to COP15**).

الجزء الأول

جعل القضية قضية عرض وطلب.

إن نظام الحصص المتعلق بثاني اوكسيد الكربون (كاب أند تريد سيستم **Cap and trade system**) هو جزء لا يتجزأ من بروتوكول كيوتو واتفاقية الاتحاد الأوروبي (**EU-ETS**)، وسيكون أيضاً جزءاً من الاتفاقية الجديدة التي سيخلص إليها مؤتمر القمة في كوبنهاغن (**COP15**). إذا ما توصل المجتمعون إلى اتفاق.

وحسب هذا النظام فإن الدول المشتركة هي التي تخبر عن كمية ثاني أوكسيد الكربون المنبعث من صناعاتها، وتلتزم هذه الدول بتخفيض الكمية المخبر عنها بنسبة لم يتفق عليها حتى الآن هل هي عشرون بالمئة أو أكثر. وطريقة ذلك أن الشركات الموجودة في هذه الدول تكون لها نسبة محددة من الكمية المعطاة للدولة وعلى هذه الشركات تحفيض نسبة الانبعاثات على مر الزمن وبذلك تنخفض الانباثات إلى الحد الذي ألزمت به الدولة نفسها. ويحق للشركات التابعة للدول الموقعة أن تستخدم كل الكمية المخصصة لها من الانبعاثات أو تكتفي بكمية أقل من ذلك، ولهذه الشركات الحق في بيع ما يفيض عن الكمية المحددة لها في السوق العالمية لشركات أخرى تود أن تزيد من كمية ثاني أوكسيد الكربون المنبعث نتيجة لزيادة صناعتها. وبذلك أصبح ثاني أوكسيد الكربون سلعة تحدد أسعارها حسب قاعدة العرض والطلب. يقول نيكولاس ستيرن (كبير الاقتصاديين السابق في البنك الدولي) معلقاً على (**Cap and trade system**) "إنه أعظم فشل للسوق شهده العالم". ففي هذه الاتفاقيات المتعلقة بالمناخ قد تُرِك لنظام السوق أن يقرر حل مشكلة المناخ كما برز جلياً من خلال كيوتو و**EU-ETS** حيث يوجد حق الملكية للتلويث.

لقد كفل نظام الحصص المخصصة لثاني أوكسيد الكربون حق الملكية في التلويث وجعلها تتركز بأيدي الشركات الغربية الأكثر قوة والأكبر ثروة. وبهذا فقد نظم النظام الرأسمالي حقوق التلويث بنفس الطريقة التي نظم بها حقوق استخراج النفط، وحقوق التعدين وغيرها من ثروات الأرض مما أدى إلى تراكمها في أيدي أولئك الذين لديهم السلطة والثروة، وبناء على هذا التنظيم يؤدي نظام حق التلويث إلى الاحتكار، وهو لا يخدم إلا الشركات الغربية الكبرى صاحبة اليد الطولى في الإضرار بالبيئة.

وبالنتيجة فإن الحلول الغربية والاتفاقيات المطروحة لحل مشكلة المناخ ما هي إلا ضمان بأن لا يكون المناخ والبيئة عائقين أمام الشركات الغربية في زيادة التلويث إذا ما كان ذلك ضرورياً للنمو الاقتصادي وتحقيق الربح، وهذه الحلول المستندة إلى سياسة السوق تجعل البيئة فريسة لجشع أولئك الذين سببوا هذه الأزمات البيئية.

الرأسمالية هي التي تسبب أزمات بيئية

إن مشكلة البيئة ليست الفشل الوحيد للنظام الرأسمالي الذي يسبب أزمة تليها أخرى، وليس آخرها ما شهدناه في الأعوام القليلة الماضية من أزمات غذائية، ومالية واقتصادية عالمية جعلت مئات الملايين من البشر في فقر مدقع في حين أتاحت لقلة قليلة من الناس أن تملك ما لا يمكن للعقل البشري أن يتخيله.

ويكمن السبب في عجز الرأسمالية عن تقديم الحلول الصحيحة للمشاكل التي يواجهها البشر في عقيدتها القائمة على فكرة الحل الوسط التي تجعل عقل الإنسان العاجز مشرعاً. ففكرة فصل الدين عن الحياة تركت الناس تحت سيطرة المشرعين الرأسماليين الذين يرون أن الغاية من الحياة هي الحصول على أكبر قدر ممكن من المتع المادية وأن المقياس لأي عمل هو المنفعة دون أخذ أي شيء آخر بعين الاعتبار. كما يكمن في نظرتها إلى المشكلة الاقتصادية بأنها قلة الموارد مقابل الاستهلاك المتجدد والتعدد (الندرة النسبية) مما جعلها تصرف الهم كله إلى الإنتاج على حساب التوزيع وعلى حساب سد الحاجات الأساسية لأفراد الناس من مسكن ومأكل وملبس، فصرنا نرى مثلاً في معقل النظام الرأسمالي، الولايات المتحدة، زيادة في حجم الإنتاج عام ٢٠٠٣م بينما ارتفع عدد الفقراء هناك بزيادة ١,٣ مليون شخص عما كان عليه من قبل.

ثم إنه لا أخلاق في الأعمال الاقتصادية في النظام الرأسمالي، فهو اقتصاد يبحث فقط عن القيم المادية، ويرى في تعاظم ثروة الفرد مفتاح النجاح بغض النظر عن العواقب التي تترتب على ذلك فيما يتعلق بالمجتمع والطبيعة، وهذا ما عبر عنه أبو النظام الرأسمالي آدم سميث حين قال بأن الجشع هو الأخلاق للفرد وهذا الجشع هو الذي يسير الاقتصاد.

إن النتائج المترتبة على مثل هذه الفلسفة مدمرة للبشرية والبيئة وقد شهدنا تدمير الأنهار والغابات والأراضي الزراعية وتلويثها بسبب تصرفات الشركات الغربية في جميع أنحاء العالم.

فقد قامت هذه الشركات بإزالة الغابات الكبرى في العالم، سواء كان ذلك في إندونيسيا أم أميركا الجنوبية، لتصبح هذه الغابات -التي تسهم مباشرة في خفض كمية ثاني أوكسيد الكربون في الغلاف الجوي- قريباً أثراً بعد عين، والمضحك أن هذه الشركات هي نفسها التي تتحدث عن حماية البيئة والمناخ.

وشاهد الناس في أميركا الجنوبية وأفريقيا وآسيا وحتى أوروبا الأرض التي اعتادوا العيش عليها قد تم تلويثها، حتى إن أطفالهم أصبحوا يولدون مشوهين خَلقياً، وصار الناس بفعل النفايات السامة التي تُرمى في البحار والأنهار والبحيرات يصابون بأمراض غريبة. وفي الوقت

الذي يُتحدث فيه عن الحد من ثاني أوكسيد الكربون لإنقاذ المناخ، ترسل النفايات السامة إلى بلدان العالم الثالث حيث تلوث هذه النفايات الأرض وتقتل الناس وتتلف الأراضي الزراعية وتقضي على الأسماك. فنهر النيل مثلاً قد تلوث إلى درجة أن الناس الذين يشربون منه يعانون من مشاكل صحية كبيرة، فقد صرح طارق سمير أحد العاملين في مصلحة إدارة المياه التابعة للمركز الوطني للبحوث قائلاً: «هناك مناطق من نهر النيل وفروعه ملوثة بسبب مياه الصرف الصناعية غير المعالجة والتي تصب مباشرة في النهر» وأضاف: «إن المركبات العضوية المذابة، والتي تنتج عن التصنيع والزراعة ومياه الصرف الصحي التي تصب في نهر النيل، تبقى حتى بعد علاج الماء بالكلور في محطات معالجة المياه الصالحة للشرب».

إن حماية البيئة ذات تكاليف كبيرة، وعندما يكون الربح هو الهدف الوحيد فإن أي شركة ستسعى لخفض التكاليف لديها، وهذا يعني أنه وفق المنطق الرأسمالي فهناك تناسب عكسي بين حماية البيئة وزيادة حجم الأرباح كما هو الحال بين حماية كرامة الإنسان وزيادة حجم الأرباح. وإذا كان تطبيق الرأسمالية هو الذي أدى إلى هذا الدمار المشاهد الذي يعاني منه الإنسان والبيئة، فللعاقل أن يتساءل عن الدافع الذي يمكن أن يجعل الرأسماليين يهتمون بحياة البشر المستقبلية وبالحفاظ على البيئة وحمايتها!

وجهة النظر الإسلامية

وجهة النظر الإسلامية في الحياة تقوم على الاقتناع المطلق بأن الإنسان والحياة والكون لها خالق خلقها هو الله سبحانه وتعالى، وأن الإسلام هو الرسالة التي أنزلها الخالق القدير إلى البشرية ليخرج الناس من الظلمات إلى النور. والإنسان إذا ما اقتنع قناعة عقلية جازمة بهذه العقيدة واطمأن بها قلبه، فإنه يجعلها الأساس لأفكاره والمقياس لأعماله كلها. لذا، يعتقد المسلم أن الله الخالق سبحانه وتعالى أنزل الرسالة الخاتمة التي تقرر ما هو الخير وما هو الشر وما هو الحق وما هو الباطل، وهو يرجع في كل شؤون حياته وحل مشاكله إلى العقيدة الإسلامية التي ينبثق عنها نظام شامل للحياة ينظم جميع احتياجات الإنسان بغض النظر عن الزمان والمكان ودون تأثر بالبيئة أو الظروف أو المصالح الفردية.

ثم إن العقيدة الإسلامية تعالج مشاكل الإنسان آخذة بعين الاعتبار جميع القيم الروحية والإنسانية والأخلاقية والمادية مراعية إياها على نحو منتاسق محقق جميع القيم، فلا تقدم القيمة المادية على باقي القيم أو تتجاهل إحداها على حساب الأخرى، بل يتم التنسيق بينها جميعها. والحكم على المجتمعات يكون على أساس التناسق بين هذه القيم الأربع وليس فقط على أساس التقدم المادي حيث المقياس هو الناتج المحلي الإجمالي أو غيره من المؤشرات الاقتصادية. إن التقدم المادي والنمو الذي يكون على حساب بقية شعوب العالم أو الطبيعة، لا يمكن أبداً أن يكون المقياس الصحيح للمجتمع الصالح.

غير أن التوازن بين هذه القيم الأربع لن يحدث أبداً إذا ترك التشريع للإنسان استناداً إلى حقيقة أن الإنسان غير قادر على التجرد من مصالحه الخاصة ورغباته حين وضعه للتشريع،

ففهم الإنسان للتنظيم عرضة للتفاوت والاختلاف والتناقض والتأثر بالبيئة التي يعيش فيها مما ينتج النظام المتناقض المؤدي إلى شقاء الإنسان. وحال العالم اليوم بما يطغى فيه من الفساد والظلم والضرر بالإنسان والطبيعة خير دليل على عجز الإنسان عن تشريع نظام صالح يبين ما هو الخير وما هو الشر.

والإسلام لا يمنع الناس من الاستمتاع بنعم الله ولا يمنع العمل والكسب والغنى، بل يجعل العمل لازماً لتقدم حياة الإنسان ولقيامه بواجباته، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الأعراف ٣٢]. لكن الذي لا يرتضيه هو تخمة البعض بينما يوجد من لا يشبع حاجاته الأساسية، ولذا فإن الإسلام يرى أن المشكلة الاقتصادية هي توزيع الثروة لا الندرة النسبية، فلا يجعل همه منصرفاً إلى زيادة الإنتاج، بل إلى مكافحة فقر الأفراد، وهو يضمن التوازن بين رعاية الجماعة والفرد فلا يلغي احتياجات الأفراد لصالح الجماعة ولا يقدم احتياجات الفرد على حساب الجماعة. والإسلام لا يقبل الظروف غير الإنسانية التي تعيشها الغالبية العظمى من سكان الأرض تحت حكم النظام الرأسمالي بسبب قلة قليلة تطارد الثروات دون شبع. إن الإسلام بنظرته هذه يوجد الفرد الذي يستشعر رقابة الله تعالى في كل أموره ويلتزم أوامر الله ويجتنب نواهيه طواعية حتى لو ترتب على ذلك خسائر مادية، ويكون بعيداً كل البعد عن الجشع والاستهلاك المفرط، ويحكم النشاط الاقتصادي بأحكام شرعية، وقيم أخلاقية وروحية تحول بينه وبين تحوله إلى نشاط اقتصادي مادي صرف لا يعمل حساباً لغير الربح. وهو بذلك يقضي على جذور السلوك الإنساني المفضي إلى خلل في التوازن البيئي. إن الإسلام يقوم على توجه واحد هو (ما يجب أن يكون عليه المجتمع، ما يجب أن تكون عليه الحياة، ما يجب أن يكون عليه الناس) وهذا لا يحدده تماماً ولا يعرف طريقه إلا خالق الإنسان ومشرعه.

نظرة الإسلام للبيئة

إن الإسلام لم ينظر إلى علاقة الإنسان بالطبيعة على أنها علاقة صراع وتضاد، بل جعلها علاقة تكامل، لأن الكون والحياة هي من خلق الله تعالى مثل الإنسان، وقد سخر الله سبحانه الكون لصالح الإنسان، وأناط بالإنسان عمارة الأرض، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾[إبراهيم ٣٢-٣٣] وقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[البقرة ٣٠]. وعمارة الأرض تقتضي الحفاظ عليها وعدم الإفساد فيها لا مادياً ولا معنوياً، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[الأعراف ٥٦]. وقد جعل الإسلام الإفساد في الأرض جريمة منكرة، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ

فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[البقرة ٢٠٤-٢٠٥]. كما بين الإسلام أن في الكون وفي الأرض توازناً وتقديراً دقيقاً مقصوداً، قال تعالى: ﴿ **وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾** ﴾[الحجر ١٩]. وقال: ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾** ﴾[القمر ٤٩]. إن هذه النصوص القرآنية وأمثالها تكفي وحدها لبيان نظرة الإسلام إلى الطبيعة والبيئة، وتدل على ضرورة الحفاظ على البيئة وحرمة الإخلال بتوازنها، وتجعل المسلم يحرص كل الحرص على عمارة الأرض وحسن القيام عليها وعلى مصالحه فيها. غير أنه وردت نصوص شرعية كثيرة في القرآن والسنة تتعلق بتفاصيل الحفاظ على البيئة، وهي تدل على أن الإسلام لم يكتفِ بالخطوط العريضة في ذلك بل تعداها إلى التفاصيل بحيث يحول بين الناس وإفساد البيئة وتلويثها، ولا يترك تقدير تعامل المسلم مع الطبيعة لأهوائه الفردية يتصرف حسب مصالحه دون مراعاة لها ولحياة الناس فيها، ونحن نذكر طرفاً من الأحاديث النبوية كأمثلة على غيرها.

- **ففي التعامل مع الماء:**

ما جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ**» (البخاري ومسلم).

وما رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**اتَّقُوا الْمَلاعِنَ الثَّلاثَةَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَالظِّلِّ**» (أبو داود وابن ماجه).

وما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه «**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ** صلى الله عليه وآله وسلم **مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَقَالَ: مَا هَذَا السَّرَفُ؟ فَقَالَ: أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ**» (ابن ماجه).

- **وفي أمر الزرع والنبات:**

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ، إلا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ**» (البخاري).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ**» (أبو داود وأحمد).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ**» (أحمد).

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوصي أصحابه حينما يبعثهم للجاهد فيقول: «**انطلقوا باسم الله، وفيه: ولا تعقرن شجرة إلا شجرة يمنعكم قتالاً، أو يحجز بينكم وبين المشركين**» البيهقي.

- **وفي أمر الحيوان والطير:**

ما جاء عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**بَيْنَا رَجُلٌ بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنْ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**» (البخاري).

وما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى**

مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلا سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ» (البخاري).

وما جاء عن أنس قال: «**نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تُصْبَرَ الْبَهَائِمُ**» (مسلم)، ومعنى تُصْبر: تُوثَقُ ثُمَّ تُقْتَلُ رَمْياً وضَرْباً.

وقال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ إِنْسَانٍ قَتَلَ عُصْفُوراً فَمَا فَوْقَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا إِلا سَأَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا حَقُّهَا؟ قَالَ: يَذْبَحُهَا فَيَأْكُلُهَا وَلا يَقْطَعُ رَأْسَهَا يَرْمِي بِهَا**».

فهذا غيض من فيض النصوص الشرعية المتعلقة بالبيئة وهي تظهر في مشهد فريد مدى اهتمام الإسلام بالطبيعة وتري أن الله خلق الطبيعة وسخرها للإنسان وجعله حارساً لها يستمتع بها لا مدمراً لها ❑

(تتمة بين حق المقاومة وفرض الجهاد)

وأودُ هنا الإشارةَ إلى أنَّ هذا التبيانُ لا يعني التقليل من شأنِ أعمالِ المُقاومةِ والمجاهدينَ الأبطال الذين يقاتلونَ الكفارَ المحتلينَ في العديدِ من بلادِ المسلمين، بل إنَّ قتالَهم جهادٌ ونسألُ اللّهَ لهم القبول، بل المقصودُ بهذا بعثُ روحِ الجهادِ في سبيلِ الله عندَ الأُمةَ، باستخدامِ لفظةَ الجهادِ بَدَلَ المُقاومة حتى يَصيرَ المُتبادرُ إلى الذهنِ حينَ سَماعها الفرضُ العظيمُ ذروةُ سنامِ الإسلام. وعليه فإنني أدعو المسلمينَ عامةً، والمفكرينَ والكُتابَ وأصحابَ الحركاتِ خاصةً، أن لا يسمحوا لأن يَحِلَّ مصطلحُ المقاوَمَةِ مَحَلَّ الجهادِ في سبيل الله، بل لا بد من إشاعةِ مفهومَ الجهادِ وبيانِ منزلته وعِظَمِ ثوابِهِ، لتعودَ للأمةِ به عزتَها وكرامتَها، ولتَحملَ به الإسلامَ وتفتحَ به البلاد، وينقل الناس بواسطته من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد بعدَ قيامِ الخلافةِ قريباً بإذن الله تعالى ❑

(تتمة المال العام: ينهبه الحكام ويحرم منه المسلمون)

بل أكثر من ذلك سيكون لدى الدولة الإسلامية القدرة على حل مشاكل العالم الاقتصادية والتي يعجزون عن حلها بأنفسهم.

إن الدولة الإسلامية هي الدولة الوحيدة التي تسير أعمالها كلها بالكتاب والسنة، وتطبق وتحفظ المال العام للمسلمين، وتمكن الناس من الاستفادة منه، وتؤدب من يستغله بغير حق، هذه كفاءة النظام الاقتصادي الإسلامي الصالح للتطبيق في كل زمان ومكان والذي يقضي على الفقر في كافه أجزاء العالم الإسلامي، بل ستكون آثار تطبيق النظام الإسلامي الاقتصادي من خلال الدولة الإسلامية القادمة قريباً بإذن الله الأنموذج للشعوب الأخرى لتتخلى عن أنظمتها الاقتصادية الرأسمالية الجائرة التي كدست الأموال في أيدٍ قليلة جشعة ظالمة وحرمت منها الشعوب بل واستعبدتهم. وبعبارة أخرى سيكون الإسلام كنظام، ومنه النظام الاقتصادي الأنموذج العادل لكل البشرية.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**حَدٌّ يُقَامُ فِي الأَرْضِ خَيْرٌ لِلنَّاسِ مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا ثَلاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا**» رواه أحمد ❑

أميركا تتدخل سراً

رأى الجنرال جورج كايسي، رئيس أركان القوات البرية الأميركية أن على القوات الأميركية التزام التكتم عندما تقدم الدعم لدول أخرى كما حصل مع اليمن في حربها ضد القاعدة. وقال في كلمة أمام معهد بروكنغز أنستيتوشن في واشنطن «ما يتعين علينا تحسينه هو كيفية تقديم الدعم للبلدان التي تحتاج إلينا، لا أن يذاع ذلك في العلن». وأضاف «أعتقد أن النجاح الذي حققناه أخيراً في اليمن يبين السبيل إلى ذلك. ولكن مجدداً، علينا أن نتوخى الحذر، وألا نظن أن بوسعنا الذهاب إلى هناك وحل مشكلات العالم أجمع». وأكد مسؤولون أميركيون لصحيفة "واشنطن بوست" أن واشنطن مشاركةٌ في العمليات السرية الجارية مع القوات اليمنية في مواجهة القاعدة. وقال الجنرال كايسي 'كنت في السعودية الأسبوع الماضي وقيل لي - وهذه وجهة نظر المسؤولين السعوديين - إنه ليس من المستحسن الوجود على الأرض في اليمن لأن ذلك سيجتذب المزيد من الجهاديين وقد يؤلب القبائل ضدنا.' وقال وزير الخارجية اليمني أبو بكر القربي: إن وجود قوات أجنبية في بلاده سيؤثر سلباً على جهودها في مكافحة "الإرهاب". وأعلنت وزارة الدفاع الأميركية مؤخراً أن واشنطن قدمت مساعدة مالية والمشورة ودربت القوات في اليمن، وأنها ستستجيب لمطالب صنعاء إن طلبت المزيد من الدعم. وقالت 'واشنطن بوست' إنه تم نشر العشرات من الجنود الأميركيين من قيادة العمليات الخاصة المشتركة وأن الأميركيين زودوا اليمن بالمعلومات الاستخباراتية الحساسة التي ساعدت على تحديد موقع وقتل ستة من أصل ١٥ من قادة القاعدة في المنطقة. (القدس العربي ٣١/ ١) ❑

ماذا تعني عشرة مؤبدات

تقوم دولة الاحتلال والغدر بأسر آلاف الأشخاص في سجونها في فلسطين المحتلة، فتسجن بعضهم لمدد طويلة دون محاكمة، وتعذب البعض الآخر، وتنقل البعض الثالث إلى سجون بعيدة عن مكان سكن ذويه لكي تعقد عملية الزيارة من قبل ذويه، والأدهى والأمر من ذلك هو المؤبدات، المؤبدات مسألة تدل على النزعة الفاشية أو العنصرية تجاه البشر، وفي هذا الإجراء العنصري ما يدل على تعمد زعماء اليهود قتل الأسير وهو على قيد الحياة وتيئيسه وتتيئيس كل أقاربه وكل من يعرفه لكي تسري العدوى إلى غيرهم، لكنهم رغم كل هذه المؤبدات يواجهون أسرى أصلب من الفولاذ، ويواجهون ذوي الأسرى الذين يتمتعون بصلابة أشد من أبنائهم، ويواجهون رأياً إسلامياً عاماً في فلسطين لا يتنازل ولا يتزحزح ولا يلين ولا يستكين، ولا يقبل بأقل من كل فلسطين من البحر المتوسط حتى نهر الأردن، ومهما اشتد قتل وحبس الناس وقهرهم فإن الاحتلال إلى زوال وسوف ينتهي هذا الليل قريباً بإذن الله ❑

بلير يتلاعب بالكلمات

أكد طوني بلير أمام لجنة التحقيق التي يترأسها جون شيلكوت أنه قرر المشاركة في الحرب بسبب خرق الرئيس العراقي السابق صدام حسين لقرارات الأمم المتحدة، وليس بدافع

تغيير النظام. وجواباً على سؤال بشأن ما أدلى به بلير في مقابلة مع «بي بي سي» في كانون الأول الماضي، نفى أن يكون تحدث في تلك المقابلة عن «تغيير النظام». وأثارت المقابلة جدلاً واسعاً بشأن الأهداف الحقيقية لمشاركة بريطانيا في هذه الحرب إلى جانب الولايات المتحدة الأميركية. وقال «لم أستخدم عبارة «تغيير النظام» في تلك المقابلة، ولم تكن لدي أية نية لتغيير المبرر الأساسي» للحرب.

وأضاف «كل ما قلته إنه لم يكن ممكناً وصف طبيعة التهديد بالطريقة نفسها كما لو كنا نعلم وقتها ما نعلمه الآن»، وهو أنه لم يتم العثور على أسلحة دمار شامل في العراق. وأكد أن تلك المقابلة لم تظهر «أي تغيير في الموقف (...) الموقف بني على فحوى قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بأسلحة الدمار الشامل» التي اتهم العراق بخرقها، وهو ما شرع الحرب برأيه. وقال «كانت هذه هي الحجة». وفي المقابلة المشار إليها، سئل بلير إن كان سيقحم بلاده في الحرب في آذار ٢٠٠٣م لو كان يعلم أن صدام حسين لا يملك أسلحة دمار شامل، فأجاب: «كنت سأستمر في الاعتقاد أن الإطاحة به أمر صحيح. من الواضح إننا كنا سنستخدم ونطور حججاً مختلفة بشأن طبيعة التهديد». (الوسط البحرينية ١/٣٠).

الوعي: يعد طوني بلير فضلاً عن جورج بوش الصغير مجرمي حرب بكل الأعراف والأديان... فلننظر هل تسعى بريطانيا عبر هذه المحاكمة إلى تبرئة نفسها من الدم الإسلامي المسفوح، والذي مازالت تسفحه في أفغانستان. ولتعلم بريطانيا أن دم المسلمين واحدة، وسلمهم واحدة. ولن يغفر لها المسلمون ما اقترفته بحقهم ❑

تغيرت لهجة المحتلين

توقع قائد القوات الأميركية وقوات حلف شمال الأطلسي في أفغانستان الجنرال ستانلي ماكريستال أن تؤدي زيادة عديد القوات العسكرية في ذاك البلد إلى التوصل إلى سلام يتم التوصل إليه من خلال مفاوضات مع حركة طالبان. وقال في مقابلة مع صحيفة "فاينانشيال تايمز" البريطانية إنه سيحث حلفاءه على تجديد التزامهم بهذه الاستراتيجية خلال المؤتمر الذي يعقد في العاصمة البريطانية. واعترف بارتفاع الشكوك في الحرب بأفغانستان، لكنه أكد انه مصمم على إحراز تقدم "إيجابي وواضح جداً" هذه السنة نتيجة زيادة ٣٠ ألف جندي أميركي هناك. وأعرب عن أمله في أن تساهم زيادة التعزيزات لبناء قوس أمني يمتد من معقل طالبان في جنوب باكستان حتى العاصمة، كابول، في إضعاف حركة التمرد لدرجة تدفع قادتها إلى قبول شكل من أشكال التسوية مع الحكومة الأفغانية. وقال "بصفتي جندياً، أشعر أننا خضنا ما يكفي من المعارك، وأعتقد أننا سنحاول رسم الظروف التي تسمح للناس بالتوصل إلى حل عادل فعلاً لكيفية حكم الشعب الأفغاني". ورداً على سؤال عما إذا كان سيسر برؤية قادة طالبان في حكومة أفغانية بالمستقبل، أجاب "أظن أن أي أفغاني يستطيع أن يلعب دوراً إذا ركز على المستقبل وليس على الماضي". (العرب أونلاين).

الوعي: واضح جداً أن أميركا تريد الخروج من مأزقها الأفغاني بمخرج ينفي عنها إعلان الهزيمة العسكرية. وهذا المخرج من مثل زيادة

عديـد القـوات للتوصـل إلى سـلام مـن خـلال مفاوضـات. ومـن يقـرأ الواقـع جيـداً يفهـم أن استمرار طالبان بعملياتها العسكرية الجريئة بل وزيادتها كماً ونوعاً هو الطريق الوحيد لإعلان هزيمة الولايات المتحدة بشكل يجب أن لا يقل خزياً عما لحقها في فيتنام. أفيعقل أن يحقق وثنيو الفيتنام ما لم يحققه مسلمو طالبان. إننا بانتظار إعلان هزيمة أميركا فلا تخلفونا □

رئيس الحكومة في هرتزيليا

قـال النـاطق الحكـومي الفلسطيني غسان الخطيب، إن مشاركة رئيس الحكومة سلام فياض في مؤتمر هرتزيليا ستكون بهدف إرسال الصوت الفلسطيني إلى الرأي العام (الإسرائيلي). وقـال "مـن المهـم لنـا أن رسـائلنا تكـون مسموعة وواضحة وتصل إلى الرأي العام (الإسرائيلي) الذي يتعرض للتضليل من قبل السلطات الإسرائيلية الرسمية".

الـوعي: هـذا عـذر أقبح من ذنب، وهكذا تشارك السلطة على مستوى القمة في المؤتمرات اليهودية وكأن شيئاً لم يكن من قبل، وكأنها تشارك مع أشقاء وليس مع أعداء ألداء! ومن الجدير ذكره أن هذا المؤتمر ينظمه سنوياً معهد الدراسات والاستراتيجية (الإسرائيلي) ويعتبر من أهـم المـؤتمرات (الإسـرائيلية) في شـؤون الأمـن والـسياسة والاسـتراتيجية. ويـشارك في المـؤتمر مسؤولون (إسرائيليون) حاليون و سابقون، وخبراء ومسؤولون غربيون.(العرب أونلاين) □

دولة الاحتلال تكذب على العالم كله

نشرت 'الغارديان' تحقيقاً يكذب الرد الذي أرسلته (إسرائيل) إلى لجنة غولدستون، وتقول الصحيفة إن فريقاً من الخبراء تابعاً للأمم المتحدة عثر على بقايا قنابل الطائرات (الإسرائيلية) التي ألقتها الطائرات الإسرائيلية على غزة، وهو ما يتناقض مع التقرير العسكري (الإسرائيلي). ونقلت الصحيفة عن خبراء في مكافحة الألغام التي تتركها الحروب قالوا لها إنهم عثروا على قنبلة زنتها ٥٠٠ رطل ألقيت على مطحنة البدر في شمالي مدينة غزة. وقالت الصحيفة إن لديها صوراً تشير إلى النصف الأمامي من القذيفة التي رمتها طائرة (إسرائيلية) على المطحنة مما يناقض الرواية (الإسرائيلية) التي نفت أن تكون المطحنة قد تعرضت أصلاً لهجوم. واعتبر تقرير غولدستون أن الضرر الذي حصل في المطحنة كان نتيجة عمل (إسرائيلي) مقصود ولا يبعد أن يكون جريمة حرب. ومع أن حادث المطحنة لا يعد الحادث الخطير الوحيد في الحرب التي قتلت ١٤٠٠ مدنياً إلا أن المطحنة تعتبر موقعاً مدنياً وهي الوحيدة العاملة في مدينة غزة . ولهذا انتقد غولدستون ضرب المطحنة الذي اعتبره «مقصوداً ومحدداً» وتم من أجل «حرمان المدنيين من الغذاء» □

اغتيال الشهيد محمود المبحوح

بعد إعلان نبأ وفاة الشهيد محمود المبحوح غيلة في دبي بدأت الصحف العربية و(الإسرائيلية) تسرب قصصاً متناقضة. وقد قيل إن القتلة سبعة ويحملون جنسيات أوروبية، وقيل إنهم هبطوا في دبي على متن الطائرة التي أقّلت وزير يهودي ذهب لحضور مؤتمر للبيئة في الإمارات وهو الوزير عوزي لنداو، وقيل إن المخابرات (الإسرائيلية) تطارده منذ عشرين سنة، وكذلك تطارده أجهزة

مخابرات دولتين عربيتين، ولمحت الأنباء إلى احتمال تعاون استخباراتي عربي (إسرائيلي). لكن مهما كانت الحقيقة فإن هذه التسريبات تعطي القارئ في بلاد المسلمين صورة مزرية عن مدى التعاون بين كيان اليهود الغاصب وبين العديد من الأنظمة المتآمرة، ومدى الاستهتار بعقول الناس بشعارات فارغة وجوفاء، الله ارحم شهداء الأمة ❑

أين بكاء الجزيرة على المعابر

الحملة الفلسطينية للمقاطعة الأكاديمية والثقافية لـ(إسرائيل) نددت بمشاركة فنية لـ(إسرائيل) في فعالية موسيقية احتضنتها مؤخراً العاصمة القطرية الدوحة معتبرة أنها تطبيع لتجميل الصورة (الإسرائيلية). وأعربت الحملة في بيان لها عن استنكارها لقيام وزارة الثقافة القطرية بدعوة الموسيقار دانيال بارينباوم بمرافقة أوركسترا "الديوان الغربي-الشرقي" المكونة من موسيقيين (إسرائيليين) وعرب لتقديم عرض على المسرح الوطني في الدوحة في الخامس من شباط ٢٠١٠م. وقالت الحملة إن حملة المقاطعة ضد (إسرائيل) التي تؤيدها الغالبية الساحقة في المجتمع الفلسطيني ترى في استضافة فرقة فنية كهذه في بلد عربي "تبييضاً" حتى لو كان غير مقصود لـ"جرائم"إسرائيل من خلال مساعدتها على إعطاء انطباع زائف بوجود علاقات طبيعية مع العالم العربي.(صحيفة القدس ٢/١).

الوعي: افتقدنا بكاء وصراخ قناة الجزيرة الفضائية على فلسطين وأهلها حينما تعلق التطبيع بدولة تملك «الجزيرة» أم أن قطر ذنبها مغفور ❑

الاعتقالات السرية والتعذيب

اعتبر خبراء لدى الأمم المتحدة في شؤون حقوق الإنسان أن الاعتقالات السرية العديدة والمنهجية في إطار الحرب على "الإرهاب" يمكن أن تصنف جرائم ضد الإنسانية. وقال الخبراء في تقرير عن محاربة "الإرهاب" والتعذيب سيعرض في آذار/ مارس أمام مجلس الأمم المتحدة لحقوق الإنسان "إذا شكل الاعتقال السري اختفاءً قسرياً ومورس بطريقة مستمرة ومنهجية يمكن اعتباره بمثابة جريمة ضد الإنسانية". واعتبر التقرير الذي شمل الأوضاع في ٦٦ بلداً، أن الاعتقالات السرية باتت ظاهرة منتشرة تكثفت بعد هجمات ١١ أيلول٢٠٠١م في الولايات المتحدة. وقال التقرير إن "الاعتقالات السرية لا تزال تمارس باسم مكافحة الإرهاب في كل مكان في العالم". وكتب الخبراء أن "الحرب على الإرهاب" التي أطلقها جورج بوش بعد أيلول ٢٠٠١م، كان من نتيجتها "بصورة تدريجية ولكن ثابتة إنشاء نظام واسع متسق للاعتقالات السرية للاشخاص المشتبه بصلتهم "بالإرهاب"، تنفذه ليس السلطات الأميركية فحسب وإنما دول أخرى في كل أنحاء العالم تقريبا". ونشر العديد من المنظمات الأميركية في شباط ٢٠٠٩م وثائق تؤكد وجود سجون سرية تديرها وكالة "سي آي إيه" في العراق وباغرام في أفغانستان. وكشفت الوثائق صلة بين وزارة الدفاع الأميركية و(سي آي إيه) في تطبيق "برنامج الاعتقال السري والنقل والتعذيب" الذي اعترف بوش نفسه بوجوده في عام ٢٠٠٦. (العرب أونلاين ٠١/٢٨/).

الوعي: وهل تغيّر شيء من هذا مع "أوباما"

الذي رفع شعار "التغيير" وطبّل له الكثيرون من أصحاب العقول بل النفوس الصغيرة ❑

تركيا والوساطة بين دمشق وتل أبيب

قال وزير الخارجية التركي أحمد داود أوغلو إن بلاده مستعدة لمحاولة التوسط مجدداً في اتفاق سلام بين (إسرائيل) وسوريا إذا قبلت الدولتان استئناف تلك المساعي• وقال داود أوغلو إن الغزو (الإسرائيلي) لقطاع غزة في ٢٠٠٨م أفسد اتفاق سلام محتملاً بعدما توسطت تركيا في محادثات غير مباشرة بين (إسرائيل) وسوريا. وقال في المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في لندن: إذا وافق البلدان على استئناف الوساطة فيمكننا القيام بذلك• بالنسبة لتركيا نحن مستعدون• ومن جهة ثانية اعتبر السفير (الإسرائيلى) لدى تركيا غابي ليفي أن العلاقات التركية (الإسرائيلية) تقوم على أساس قوي وأنها ستتحسن في المستقبل • وقال ليفي الذى قام بزيارة لمدينة أضنه بجنوب تركيا مؤخراً إن العلاقات بين تركيا و(إسرائيل) تمر بمرحلة حرجة حالياً ، معرباً عن اعتقاده بأنهما ستتغلبان على هذه المشاكل في العلاقات • وأضاف أن الخلافات وسوء الفهم يمكن أن تحدث حتى بين أفضل الأصدقاء في إشارة إلى الأزمة الدبلوماسية الأخيرة التي أحدثتها المعاملة السيئة من جانب نائب وزير الخارجية (الإسرائيلى) داني أيالون للسفير التركى في تل أبيب. وأوضح ليفي أن هناك تاريخاً مشتركاً بين تركيا واليهود يمتد لأكثر من ٥٠٠ عام ، ولا يمكن أن ينسى اليهود أن تركيا استقبلتهم على أرضها في أوقات أزماتهم، مشيراً إلى أن هناك علاقات متميزة تربط بين تركيا و(إسرائيل) في المجال العسكرى، وأنه واثق من التغلب على الفترة الراهنة سريعاً •(اللواء اللبنانية ١/٣٠).

الوعي: أين أردوغان ذي التوجه الإسلامي على الطريقة الأميركية من العلاقة بـ(إسرائيل)؟! ومن التوسط بين (إسرائيل) وسوريا لمصلحة أميركا؟! ومن الحكم بغير ما أنزل الله؟! ومن احترام مبادئ الأتاتوركية؟! ومن المشاركة بقوات ضد المسلمين في أفغانستان؟! ومن اللعب بورقة الإسلام؟!... وكل واحدة من هذه تجعله في أسفل سافلين ❑

سفن تحمل صواريخ و«باتريوت» على الأرض

نشرت الولايات المتحدة بطاريات صواريخ "باتريوت" الدفاعية البرية في الكويت وقطر ودولة الإمارات العربية المتحدة والبحرين. وأفاد مسؤولون أميركيون أن الولايات المتحدة تتوسع في أنظمة الدفاع الصاروخي البرية والبحرية داخل منطقة الخليج وحولها لمواجهة ما تعتبره تصعيداً للخطر الصاروخي الإيراني، ويدخل في هذا الإطار نشر "باتريوت" في الكويت وقطر ودولة الإمارات العربية المتحدة والبحرين، إلى جانب نشر سفن البحرية المزودة أنظمة الدفاع الصاروخي في البحر الأبيض المتوسط . وأشاروا إلى أن ذلك يهدف إلى زيادة حماية القوات الأميركية وحلفاء الولايات المتحدة الرئيسيين في الخليج. وكان قائد القيادة المركزية الأميركية الجنرال ديفيد بترايوس صرح في ٢٢ كانون الثاني الماضي بأن الولايات المتحدة وضعت ثماني بطاريات من صواريخ باتريوت على أراضي أربع دول خليجية لم يحددها، وذلك بعدما صارت إيران تُعتبر" تهديداً بالغ الخطورة في الضفة

المقابلة للخليج." (رويترز، "النيويورك تايمس، النهار ٢/١).

الوعي: هذا الانتشار العسكري الأميركي على الأرض من ثمرات الفزاعة الإيرانية الموالية لأميركا بعد انتهاء فزاعة صدام حسين الموالية لبريطانيا. فالمشهد واحد ❑

زيارات تركية للرياض

قال الوزير التركي أوغلو: نسعى إلى بناء تحالف استراتيجي جديد في المنطقة والسعودية جزء منه، إن العلاقات التركية السعودية، لها ثلاثة أبعاد: ثنائية، وإقليمية، ودولية. وقال أوغلو: "لنا نفس النظرة حول جميع الإشكالات. فنحن نؤيد وندعم المملكة في طرحها المبادرة العربية للسلام، ونراها مبادرة عادلة. كما ندعم تحرك السعودية في مؤتمر المصالحة الفلسطينية والذي عقد في مكة المكرمة، هذا التقارب في وجهات النظر بين الرياض وأنقرة، يجد فيه وزير الخارجية التركي، أرضية صلبة، يستفيد منها الطرفان في تطوير العمل السياسي المشترك، وصولاً إلى "التوافق حول استراتيجيات العمل"، وضارباً مثالاً بالدور الذي لعبته الدولتان، في تقريب وجهات النظر بين سوريا ولبنان. وأعرب عن رغبة بلاده، في رسم صورة جديدة لتركيا الواثقة الفعالة في صناعة السلام، وقال: "نريد أن يقترن اسم تركيا بالسلام". راسماً صورة كاريكاتورية لتركيا قبل العام ٢٠٠٣م، واصفاً إياها بدولة لها عضلات قوية وبطن ضعيف. وهي مرحلة تم تخطيها، لتأتي مرحلة بناء شخصية جديدة لها، كدولة صاحبة قوة متكاملة، متبوئة الرقم ١٥، ضمن مجموعة العشرين، كأحد أهم الاقتصاديات الفعالة في العالم. متكاملة مع انفتاح في الرؤية السياسية، داعمة ومنمية لمؤسسات التفكير الاستراتيجي، والتي ارتفع عددها إلى ثلاثين مركز صناعة للفكر، في أنقرة وحدها. (الوطن السعودية ١/٣١).

الوعي: لتركيا دور عالمي يمكنها أن تؤديه كدولة عالمية قائمة على أساس الإسلام، أما كدولة إقليمية فإنها تؤديه على أساس العمالة والتبعية لأميركا، وشتان ما بين الدورين ❑

الخيار الأردني من جديد

في حوار أثناء مشاركته في منتدى دافوس، تحدث الملك عبدالله عن موقف الأردن تجاه فلسطين، وبين أن هناك موقفاً واضحاً في رفض الدخول أو مناقشة فكرة الخيار الأردني، أو القيام بدور وظيفي في الضفة الغربية، أو قيام كونفدرالية بين الأردن وفلسطين قبل إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس، وهو ما يؤكده باستمرار بأن الأردن يدعم الفلسطينيين في نضالهم العادل بإقامة دولتهم الفلسطينية المستقلة. وقال المعلقون إن فكرة الخيار الأردني ليست جديدة وإنما قديمة وتطرح بين الحين والآخر، ولكن سرعان ما تختفي لصلابة الموقف الأردني والفلسطيني في مواجهتها. (جريدة الرأي ١/٣١).

الوعي: مسكين هذا الملك، بالرغم من عمالته المتأصلة فإنه لا يزال ينام على خوف من ضياع عرشه في التسويات. وإذا لم تنقذه عمالته فمن الذي سينقذه؟ لن ينقذه إلا الإسلام لو كان يعلم، ولكن هيهات ❑

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾.

جاء في كتاب «التيسير في أصول التفسير» لمؤلفه العالم في أصول الفقه أمير حزب التحرير عطاء بن خليل أبو الرشتة (حفظه الله تعالى وسدد خطاه):

يذكر الله في هذه الآية الكريمة الأمور التالية:

١. تحريم تزويج المؤمنة من مشرك وتحريم زواج المؤمن من مشركة مهما كان نوع الإعجاب بالمشركين والمشركات أكان مالاً أم جاهاً أم غير ذلك.

والقول بالتحريم ناتج من أن هناك نهياً ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ ﴿ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ وهناك قرينة تفيد النهي الجازم وهي: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ ﴾ فيكون النهي جازماً أي حراماً.

٢. المشرك والمشركة هنا يشمل كلّ كافر بدلالة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ ﴾ أي يدعون إلى الكفر المؤدي إلى النار، وذلك لأن النار ذكرت هنا في مقابلة الجنة وأصحاب النار الذين لن يدخلوا الجنة هم الكفار، ولذلك فإن ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ ﴾ علة للتحريم ولخيرية الأَمَة المؤمنة على الحرة المشركة وخيرية العبد المؤمن على الحرّ المشرك وذلك في موضع النكاح (الزواج).

أي أنّ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ ﴾ علة لخيرية المؤمنين وتحريم زواج المؤمنين من مشركات أو المؤمنات من مشركين.

وهذا التعليل بهذا المعنى يشمل (**الذين يدعون إلى الكفر المؤدي إلى النار**) وهو لكلّ كافر مهما كانت نوعيته.

ولا يقال إن (**لفظ مشرك**) لا يشمل (**أهل الكتاب**) فتحريم الزواج من المشركين والمشركات لا يشمل أهل الكتاب، حيث وردت آيات تفصل المشركين عن أهل الكتاب ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ ﴾ البقرة/آية١٠٥ لا يقال ذلك من وجهين:

أ. أن اليهود والنصارى مشركون بنصّ الكتاب، فقد قال الله سبحانه: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ

ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ ﴾ التوبة/آية٣٠-٣١ فاليهود والنصارى مشركون.

ب. إنَّ {المشركين} إذا أطلقت عرية من القرائن فهي تدلّ على من جعل مع الله أنداداً شركاء، أي للدلالة على نوع من أنواع الكفر فإذا وردت مع قرينة فهي بحسب القرينة، وهي هنا وردت معللة (**بأنهم يدعون إلى النار ولا يدخلون الجنة**) وهذه العلة تشمل كلّ كافر من أهل النار وليس من أهل الجنة.

أما الآية ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ البقرة/آية١٠٤ فهي أسماء لأنواع من الكفر: أهل الكتاب والمشركين، وكلّ منهما تدل على مسماها، ولذلك فإن ﴿ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ﴾ و﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ في الآية تشمل كلّ كافر من أهل الكتاب أو من غيرهم كما بينّا.

أي أن هذه الآية تفيد:

تحريم زواج المؤمن من كافرة.

وتحريم زواج المؤمنة من كافر.

٣. لقد ورد تخصيص هذه الآية العامة في كل كافر بآية المائدة ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ المائدة/آية٥.

فهنا تخصيص لنوع من أنواع الكفر، وهنَّ المحصنات الكتابيات، أي اليهوديات والنصرانيات فهنَّ اللاتي يطلق عليهن هذا اللفظ شرعاً، ولذلك فالزواج من نساء أهل الكتاب المحصنات (**العفيفات**) يجوز للمسلمين.

أما زواج المسلمة من الكفار فقد بقي على عمومه، ولم يرد له تخصيص في أي نوع من الكفار سواء أكانوا من أهل الكتاب أم من غيرهم.

٤. أما لماذا قلنا إن ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾، أي (أهل الكتاب)، تطلق على اليهود والنصارى فالنصوص في ذلك كثيرة في الكتاب والسنة منها: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ ﴾ آل عمران/آية٦٥ أي أن أهل الكتاب هم اليهود (التوراة) والنصارى (الإنجيل). ولما سئل رسول الله ﷺ عن التعامل مع المجوس قال صلوات الله وسلامه عليه: "**سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير آكلي ذبائحهم ولا ناكحي نسائهم**" (الموطأ، المعجم الكبير للطبراني، البيقهي، ابن أبي شبية، عبدالرزاق) أي كاليهود والنصارى إلا في الذبائح والنساء. وغير ذلك من النصوص.

٥. إلا أن المستثنى من التحريم من نساء أهل الكتاب أي العفيفات، أما ما يفعله بعض المسلمين الذين ينتقلون في بلاد الكفار من الشرق والغرب فيتزوجون من نسائهم دون أن يهتموا بالعفاف فهذا مخالف للحكم الشرعي لأن واقع تلك البلاد يهيمن عليه ما يسمونه بالحرية الشخصية والتي تجعل الزنا عندهم أمراً معتاداً، ولذلك فمن الأهمية بمكان أن يهتم الشباب المسلم بهذا الأمر، فإن وجدوا العفيفة من أهل الكتاب فيحلّ لهم ذلك وإن لم تكن فلا تحلّ لهم حفاظاً على أحكام الشرع وعدم اختلاط الأنساب وعدم الوقوع في مآسٍ كثيرة نتيجة تلك الحالات.

روى ابن عطية أن حذيفة بن اليمان تزوج بكتابية، فأراد عمر أن يفرق بينهما فقال له حذيفة: أتزعم أنها حرام فأخلي سبيلها يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا أزعم أنها حرام، ولكني أخاف أن تعاطوا المومسات منهن.

وروي عن ابن عباس نحو هذا، أي أن عمر كره له ذلك لاحتمال عدم العفاف فكيف إذا تحقق كما في بلاد الكفار هذه الأيام؟

وفي رواية أخرى أخرجها ابن جرير تزوج يهودية فكتب إليه عمر: خلِّ سبيلها. فكتب إليه: أتزعم أنها حرام فأخلي سبيلها؟ فقال: لا أزعم أنها حرام ولكني أخاف أن تعافوا المؤمنات.

فقد كره عمر ذلك لئلا يزهد الناس بالمسلمات. ومن ذلك يتبين أن الشاب المسلم إن أراد الزواج من كتابية عليه أن يطمئن أنها عفيفة لا تتعاطى الزنا، فإن عثر على هذه يجوز له الزواج منها ولكن الأولى أن يتزوج من المسلمات.

يقول ﷺ: "**تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**" **(البخاري ومسلم والترمذي).**

٦. وبناء على ما سبق، فإنه لم يستثن من تحريم الزواج من الكافرات إلا نساء أهل الكتاب المحصنات - أي العفيفات - وغير ذلك فالآية تحرمه على نحو ما بيناه.

ويكون معنى الآية:

يحرم عليكم أيها المؤمنون أن تنكحوا الكافرات باستثناء نساء أهل الكتاب العفيفات، فإن أمة مؤمنة خير من مشركة مهما كان حسنها، وكذلك يحرم عليكم أن تزوجوا المؤمنات من الكفار بأنواعهم كلها - المشركين وأهل الكتاب والمجوس وغيرهم من الكفار - فإن عبداً مؤمناً خير من مشرك مهما كان سبب إعجابكم به، وذلك لأن دعوة الكفار وطريقهم هي إلى النار، وأما دعوة المؤمنين وطريقهم فهي الجنة والمغفرة من الله سبحانه.

ثم يبين الله سبحانه في خاتمة الآية أن آيات الله هذه التي أنزلها مبينة ملازمة دعوة الكفار للنار، ودعوة المؤمنين للجنة والمغفرة من الله، هذه الآيات مدعاة لأن تكون موضع تذكر من

قبل المؤمنين ليوم الحساب، الجنة أو النار فيحرصوا بذلك على ما يقربهم من الجنة ويبعدهم عن النار.

﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ﴾ أي لا تتزوجوا.

﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ ﴾ الأمة هنا مقابل الحرة لأن الموضوع هو في بيان الخيرية والتفاضل بين الإيمان والشرك، فناسبه أن الإيمان يرفع حتى الإماء الواقعات في الرقّ، ويخفض حتى الحرائر المشركات، أي أن الإيمان يجعل الأمة أعلى درجة وأفضل مكانة من الحرة المشركة ففي الآية تفضيل الأمة المؤمنة على المشركة مطلقاً، أما تفضيل الحرة المؤمنة على الحرة المشركة فهو من باب أولى (مفهوم الموافقة).

﴿ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ جواب الشرط محذوف دلت عليه الجملة السابقة، أي لا تتزوجوها ولو أعجبتكم فأمة مؤمنة خير منها.

والإعجاب يدخل فيه كلّ ما يزينها في عين المريد زواجها كجمالها ومالها وسائر ما يوجب الرغبة فيها.

يقول رسول الله ﷺ : "**لا تَزَوَّجوا النساء لحسنهن فعسى حسنُهن أن يُرْدِيَهُن، ولا تَزَوّجوهن لأموالهن فعسى أموالُهن أن تُطْغِيَهن، ولكن تَزَوّجوهن على الدين ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل**" (ابن ماجه).

﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ ﴾ البدء بلام الابتداء الشبيهة بلام القسم في إفادة التأكيد، هي للمبالغة في الحرص على المؤمنات وتحريم زواج المشركات، وكذلك ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ لإفادة المعنى نفسه: الحرص على المؤمنين وتحريم زواج المؤمنة من مشرك.

"**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**" (الترمذي، ابن ماجه، ابن حبان في الثقات).

﴿ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾ ذكر هنا ﴿ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ وذكر في الآية السابقة ﴿ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ لأن الآية السابقة كانت تعقيباً على أمور محسوسة: الخمر والميسر واليتامى والإصلاح لهم، فقال الله سبحانه بعدها ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أي تفكروا في هذه الأمور المحسوسة لديكم لتلتزموا بناء على هذا التفكر بما يصلح دنياكم وآخرتكم.

وأما هنا فيقول سبحانه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾.

فموضوع النار والجنة أمور ليست واقعة تحت حسّ الإنسان ليتفكر فيها، بل هي تعتمد على النقل والتذكير فقال الله سبحانه: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾ ❑

بسم الله الرحمن الرحيم

حسن الظن من حسن العبادة

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: «قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ، قَالَ: **كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ**، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟! قَالَ: **هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لا إِثْمَ فِيهِ وَلا بَغْيَ وَلا غِلَّ وَلا حَسَدَ**» (رواه ابن ماجه وصححه الألباني).

- عن النبي ﷺ قال: «**ما عمل ابن آدم شيئاً أفضل من الصلاة وصلاح ذات البين وخلق حسن**» صححه الألباني.

- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاةِ وَالصَّدَقَةِ**، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **إِصْلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ**» (أبو داود وأحمد).

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لا تَحَاسَدُوا وَلا تَنَاجَشُوا وَلا تَبَاغَضُوا وَلا تَدَابَرُوا وَلا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ وَلا يَخْذُلُهُ وَلا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا**، - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ- **بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**» (رواه مسلم، أحمد).

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**حُسْنُ الظَّنِّ مِنْ حُسْنِ الْعِبَادَةِ**» (أبو داود وأحمد).

- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ وَيَقُولُ: «**مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ! مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ! وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكِ، مَالِهِ وَدَمِهِ وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلا خَيْرًا**» (رواه ابن ماجه).

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلا رَجُلا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا**» (رواه مسلم) ❑

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة أمهات المؤمنين (٣)

عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها

هي الصدّيقة بنت الصدّيق عائشة بنت أبي بكر بن قُحافة، وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكِنَانية، ولدت في الإسلام، بعد البعثة النبوية بأربع أو خمس سنوات. وعندما هاجر والدها مع رسول الله ﷺ إلى المدينة، بعث إليها بعبد الله بن أريقط الليثي ومعه بعيران أو ثلاثة للحاق به، فانطلقت مهاجرة مع أختها أسماء ووالدتها وأخيها.

الرؤيا

مضت فترة على زواج النبي ﷺ من سودة رضي الله عنها، ثم استيقظ يوماً مسترجعاً في مخيلته ذكرى حلم رآه، فقد جاءه جبريل عليه السلام بقطعة قماش حريري عليها صورة عائشة بنت أبي بكر وقال له: إنها زوجتك في الدنيا والآخرة. ولما تكررت الرؤيا ليومين على التوالي، أدرك ﷺ أنها أمر من الله سبحانه وتعالى، ولابد من تنفيذ أمر الله.

الخِطبة

عن خولة بنت حكيم قالت: دخلت بيت أبي بكر فوجدت أم رومان، فقلت لها: ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة، قالت: وما ذاك؟ فقالت: أرسلني رسول الله ﷺ لأخطب له عائشة. قالت: وَدِدْتُ، انتظري أبا بكرٍ فإنه آت. وجاء أبو بكر، فقلت له: يا أبا بكر، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؟ أرسلني رسول الله ﷺ لأخطب له عائشة. قال الصديق رضي الله عنه: وهل تصلح له؟ إنما هي بنت أخيه. فرجعت إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقلت له ما قال أبو بكر، فقال: «**ارْجِعِي إِلَيْهِ فَقُولِي لَهُ: أَنَا أَخُوكَ وَأَنْتَ أَخِي فِي الإِسْلامِ وَابْنَتُكَ تَصْلُحُ لِي**» فَرَجَعَتْ فأتيت أبا بكرٍ فذكرت له ذلك، قال: انتظريني حتى أرجع. قالت أم رومان توضّح الموقف لخولة: إن المطعم بن عدي كان قد ذكر عائشة على ابنه زبير، ولا والله ما وعد أبو بكرٍ شيئاً قط فأخلف. دخل أبو بكر على مطعم وعنده امرأته أم زبير، وكانت مشركةً، فقالت العجوز: يا ابن أبي قحافة لعلنا إن زوّجنا ابننا من ابنتك أن تصبئه وتدخله في دينك الذي أنت عليه. فالتفت إلى زوجها المُطعم فقال: ما تقول هذه؟ فقال: إنها تقول كذلك. فخرج أبو بكرٍ رضي الله عنه وقد شعر بارتياحٍ لما أحلَّه الله من وعده، وعاد إلى بيته، فقال لخولة: ادعي لي رسول الله. فمضت خولة إلى الرسول الكريم فدعته، فجاء بيت صديقه أبي بكر، فأنكحه عائشة وهي يومئذٍ بنت ست سنين أو سبع.

الزواج

إن العقد على عائشة سبق الدخول بسنوات، ولما استقر عليه الصلاة والسلام بالمدينة، أرسل زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة ليأتيا بمن خلّف من أهله، وأرسل معهما عبد الله بن أريقط يدلهما على الطريق. والنبي عليه الصلاة والسلام يهيِّئ الدور لزوجته

سـودة ولزوجتـه عائـشة ليـستقبل فيهـا أهلـه، غرفةٌ صغيرةٌ جداً ملحقةٌ بالمسجد هـذه الغرفـة بيـت عائـشة، وكانـت هـذه الغرفـة الـصغيرة التي لا تتسع لصلاته ونـوم زوجتـه معـاً، إمـا أن يصلي فتنزاح جانباً، وإما أن يناما معاً، أما أن يصلي هو وتنام هي فالغرفة لا تتسع لهما.

وصلت هذه السيدة الجليلة إلى المدينـة مـع أمهـا أم رومـان، وأختهـا أسمـاء، وأخيهـا عبـد الله، واسـتقروا في دار الوالـد الـصديق رضي الله عنه، ولم تمـضِ أشــهر معــدودات حتــى تكلّــم الـصديق رضي الله عنه إلى الـنبي عليـه الـصلاة والـسلام في إتمام الزواج الذي عقده بمكة. فلما كلّم الـصديق رسـول الله في شـأن إتمـام الـزواج، سـارع الـنبي عليـه الـصلاة والـسلام، وسـارعت نـساء الأنـصار إلى منـزل الـصديق لتهيئـة هـذه العـروس الـشابّة لرسـول الله ﷺ. وحينمـا دخلـت أم الـسيدة عائـشة رضي الله عنها علـى الـنبي ﷺ، ومعهـا ابنتهـا العـروس الـسيدة عائـشة بعد أن هُيئت له، دخلت على النبي ﷺ وهـو في دار أبي بكـر وقالت: «يا رسـول الله هـؤلاء أهلك، بارك الله لك فيهن وبارك لهن فيك».

أول حب في الإسلام

كانــت عائــشة رضي الله عنها أول حــب في الإسـلام. فعـن أنـس رضي الله عنه قـال: «أول حـب كـان في الإسلام حب الـنبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها» وكانت تسأل رسول الله ﷺ: كيـف حبـك لي، فيقول: مثل العقـدة، ثـم تعـود فتـسأل بعـد فترة: كيف حال العقـدة، فيجيبهـا رسـول الله ﷺ: على حالها.

الزوجة الغيور

وفي ذات ليلـة خـرج رسـول الله ﷺ إلى البقيع حيث مدافن المسلمين وكثيراً مـا كـان يخرج إليها ليلاً، بعد صلاة الفجر، يزور أهـل البقيع ويسلم عليهم ويدعو للمؤمنين والمؤمنـات ويتذكـر الموت والآخرة. فاستفاقت عائشة فلم تجده بجوارها، فقلقت وتحيرت في أمرها وظلت على حالها تلك حتـى عـاد رسـول الله ورأى مـا هي عليه من الهم والأرق، فـأنكـر ذلـك منهـا، وقد ظنت أنه ﷺ قد خرج إلى إحدى نسائه غيرها، فقـال لها: **إذاً فقـد غلبـك شيطانك يـا عائـشة؟** فـسألته: أي شـيطان يـا رسـول الله؟ فقـال ﷺ: **لكـل إنسان شيطان**. فأردفت: وحتى أنت يا رسول الله. فأجابها ﷺ: **نعم، ولكن الله تعالى أعانني عليه فأسلم.**

وأرسـلت أم سـلمة مـرةً بـصحفة مـن ثريـد إلى رسـول الله ﷺ وهـو عنـد عائـشة وعنـده ضـيوف، فـضربت عائـشة رضي الله عنها الـصحفة فانفلقــت، فجعــل رســول الله يجمــع الثريــد ويقول لأصحابه: كلوا، غارت أمكم، غارت أمكـم. وأرسـل صـحفة سـليمة إلى أم سـلمة وترك المكسورة لعائشة.

غيرة نسائه ﷺ منها

لقد احتلّت السيدة عائشة رضي الله عنها مكانـةً كبيرةً في بيت النبي ﷺ، ممـا جعـل أنظـار الـصحابة تتجـه بإعجــابٍ وإكبــارٍ واحــترامٍ وإجـلالٍ نحـو بيـت أم المـؤمنين الثالثـة الـسيدة عائـشة، لمـا خـصّها الله تعـالى مـن الفـضائل والمُكرُمـات، ممـا أثـار غـيرة أمهـات المـؤمنين رضي الله عنهن أجمعين.

عـن هـشَام عَـنْ أَبِيـه قَـالَ: «كَـانَ النَّـاسُ يَتَحَـرَّوْنَ بِهَـدَايَاهُمْ يَـوْمَ عَائِـشَةَ، قَالَـتْ عَائِـشَةُ: فَـاجْتَمَعَ صَـوَاحِبِي إِلَـى أُمِّ سَـلَمَةَ فَقُلْـنَ: يَـا أُمَّ سَلَمَةَ، وَاللَّـهِ إِنَّ النَّـاسَ يَتَحَـرَّوْنَ بِهَـدَايَاهُمْ يَـوْمَ عَائِشَةَ، وَإِنَّا نُرِيدُ الْخَيْرَ كَمَا تُرِيدُهُ عَائِشَةُ،

فَمُرِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يُهْدُوا إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ أَوْ حَيْثُ مَا دَارَ، قَالَتْ: فَذَكَرَتْ ذَلِكَ أُمُّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ ذَكَرْتُ لَهُ ذَاكَ، فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ: **يَا أُمَّ سَلَمَةَ، لا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا»** (أخرجه البخاري).

ثم إن أمهات المؤمنين حاولن محاولةً ثانية مع السيدة فاطمة رضي الله عنها، أن تكلّم أباها النبي ﷺ بهذا الخصوص، فلم تُجد محاولتها شيئاً. فقد روى مسلمٌ في صحيحه أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: «أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِي فِي مِرْطِي، فَأَذِنَ لَهَا فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، وَأَنَا سَاكِتَةٌ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **أَيْ بُنَيَّةُ، أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ؟!** فَقَالَتْ: بَلَى، قَالَ: **فَأَحِبِّي هَذِهِ**، قَالَتْ: فَقَامَتْ فَاطِمَةُ حِينَ سَمِعَتْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَجَعَتْ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخْبَرَتْهُنَّ بِالَّذِي قَالَتْ وَبِالَّذِي قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْنَ لَهَا: مَا نُرَاكِ أَغْنَيْتِ عَنَّا مِنْ شَيْءٍ، فَارْجِعِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُولِي لَهُ: إِنَّ أَزْوَاجَكَ يَنْشُدْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: وَاللَّهِ لا أُكَلِّمُهُ فِيهَا أَبَداً. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ... قَالَتْ: فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ عَائِشَةَ فِي مِرْطِهَا عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي دَخَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا وَهُوَ بِهَا، فَأَذِنَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَبَسَّمَ: **إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ**».

حديث الإفك

لقد كان حديث الإفك من أشد وأصعب ما واجهت عائشة رضي الله عنها في حياتها ومن أقسى ما تعرض له بيت النبوة إلى أن تنزلت آيات الله تعالى في سورة النور تكشف الغمة وتبددها.

فلقد خرج الرسول ﷺ في جيش من المسلمين في المدينة إلى ديار بني المصطلق، وكان سهم الخروج من نصيب عائشة من بين أزواجه. وحيت تم النصر للمسلمين على بني المصطلق الذين لقوا جزاء غدرهم ونفاقهم ووزعت المغانم والأسلاب. وقد التقى عند حوض الماء الذي كان يستقي منه المسلمون، أحد الأنصار وأحد المهاجرين، فتزاحما وتنافرا وكاد خصامهما يؤدي إلى اشتباك بين المؤمنين. ومما زاد في تأجيج نار الفتنة ما قاله رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ. وسمع أحد المسلمين تلك المقالة، وشهد الحادثة، ومن ثم رأى بوادر الفتنة، فأسرع إلى رسول الله ﷺ ينقل إليه الخبر وما قاله ابن سلول، فرأى رسول الله ﷺ أن من الحكمة أن يشغل الناس عن الفتنة بالمسير على الفور بعد أن أقاموا للاستراحة. في أثناء ذلك، كانت عائشة رضي الله عنها قد خرجت من خبائها لقضاء حاجة بعيداً عن معسكر المسلمين، وهي لا تدري من أمر ما يحدث

شيئاً، وابتعدت كثيراً... وحين رحل المسلمون رفع هودجها من مكانه ظناً من قائده أنها بداخله، ومضى المسلمون في طريقهم إلى المدينة. عادت عائشة رضي الله عنها مما ذهبت إليه وافتقدت عقداً كانت تزين به جيدها فلم تجده، فرجعت سريعاً إلى حيث كانت ولملمت حبات العقد المتناثرة، وعادت على جناح السرعة، وحين بلغت طرف المعسكر، ومكان الهودج لم تجد أثراً لبشر، فارتاعت وجزعت وألمّ بها خوف شديد، ثم لبثت في مكانها لا تدري كيف تتصرف، وماذا تفعل!

وكان من عادة رسول الله ﷺ القائد الظافر الخبير، أن يرسل إثر كل غزوة رجلاً من أصحابه اسمه صفوان بن المعطل يستدرك ما فاته المسلمون عند رحيلهم. وفوجئت عائشة رضي الله عنها بخيال فارس يأتي حيث تقف، فأرخت حجابها وعندما لمحها صفوان غض بصره، وقال في دهشة وعجب: ظعينة رسول الله؟ ما خلفك رحمك الله؟ وما الذي أخرجك؟ ثم نزل عن بعيره، وتأخر حتى ركبت ثم تقدم وأمسك بالمقود. وشُغِل بال رسول الله على عائشة حتى عادت واطمأن عليها وسمع بعذرها وصدقها. بعد أن افتقدها فلم يجدها واهتم لأمرها.

وكان عندما أطل موكب صفوان وعائشة على مداخل المدينة المنورة ولمحه ابن سلول المنافق، الذي كان جالساً مع بضعة نفر من أتباعه، ومن هم على شاكلته، استيقظ الحقد في قلبه، ووجد المادة التي يتسلى بها والسم الذي ينفث، لينفس عن حقده وحسده لرسول الله ﷺ وعلى المسلمين، فقال: أيها الناس، ظعينة نبيكم عادت في ركاب رجل، والله ما نجت منه ولا نجا منها. وسرت أكذوبة ابن سلول بين الناس مسرى النار في الهشيم، وتناقلتها الألسنة تصريحاً وتلميحاً. لكن عائشة رضي الله عنها عنها دخلت منزلها خالية الذهن، لا تدري من أمر هذا الإفك والافتراء شيئاً.

داهم عائشة رضي الله عنها المرض فاستأذنت رسول الله ﷺ أن تذهب إلى بيت أبيها كي تقوم أمها على خدمتها ورعايتها. ولقي طلبها هذا سرعة استجابة من رسول الله ﷺ مما جعلها تحزن وتتوجس، لأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن ليطيق فراقها أو ابتعادها عنه، ودخلت عائشة منزل والدها الصدّيق الحزين رضي الله عنه الذي ما انفك يدعو الله تعالى أن يبرئ ساحة ابنته. وقضت رضي الله عنها في بيت أبي بكر قرابة العشرين يوماً حتى شفيت من مرضها. وفي ليلة خرجت مع امرأة من الأنصار ممن كنّ يزرنها لقضاء حاجة بعيداً في الخلاء، وبينما كنّ في الطريق عثرت المراة بطرف ثوبها، وكادت تسقط أرضاً، فقالت: تعس مسطح، فانتفضت عائشة وقالت بحدة: بئساً تالله ما قلت في رجل من المهاجرين ممن شهدوا بدراً... فقالت المرأة: عجباً، تدافعين عنه، أوَ ما بلغك الخبر يا ابنة أبي بكر؟ فأجابت عائشة مستفسرة بدهشة: وما الخبر؟ فقصت عليها المرأة حديث الإفك، وما يشاع عنها، وما يروجه دعاة السوء من أقاويل وافتراءات. وكان مسطح بن أثاثة واحداً من الذين أطلقوا لألسنتهم العنان، ينالون به من شرف عائشة رضي الله عنها وسمعتها.

ولما فرغت المرأة من الحديث، كاد يغمى على عائشة رضي الله عنها فتماسكت وعادت إلى

البيت تبكي وتنتحب، وتلوم أمها لأنها كتمت عنها الخبر رأفةً بها، وراحت الأم تخفف من حدة غضب عائشة والدموع تنهل من عينيها فتغسل وجهها، وتقول: أي بنية، هوني عليك الشأن، فوالله لقل ما كانت امرأة حسناء عند زوج يحبها ولها ضرائر، إلا كثرن، وكثر الناس عليها، لكن أين عائشة وأين أمها!!

لقد كانت في هم شديد، كانت الدنيا كلها في نظرها مظلمة سوداء. فقبعت في الدار متوارية عن الناس، عازفة عن الطعام والشراب لا تلغو ولا تنام، تبكي وتنشج.

ولم يكن سكوت رسول الله ﷺ سكوت الصدق معاذ الله، ولكن سكوت الصابر، حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً. وحين كثر القيل والقال، خطب في الناس فقال: **أيها الناس، ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق، والله ما علمت منهم إلا خيراً، ويقولون ذلك عن رجل ما علمت منه إلا خيراً، وما يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي** (يعني صفوان بن المعطل) فسكت الناس جميعاً. ثم أراد رسول الله أن يستشير خلصاءه في هذا الأمر وأصفياءه، فاستدعى إليه ابن عمه علي بن أبي طالب وحبه أسامة بن زيد رضي الله عنهما وسألهما رأيهما: فقال أسامة: إنك لأعلم الناس بعائشة يا رسول الله، وإن الناس لتكذب، وما عرفنا عنها إلا خيراً.

وأما علي فقال: يا رسول الله، إن النساء كثيرات، وإنك لقادر على أن تستخلف (أي تنجب الأبناء) وسل الجارية تصدقك. فدعا رسول الله جاريتها بريرة ليسألها فتقول: والله ما أعلم إلا خيراً، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً إلا أني كنت أعجن فآمرها أن تحفظه فتنام عنه، فتأتي الشاة فتأكله!

وحين سأل رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: تسألني يا رسول الله عن عائشة وإني بدوري أسألك: من زوجك إياها؟ فأجاب رسول الله ﷺ بهدوء: **الله تعالى**. فقال عمر: إذاً أفتظن أن الله قد خدعك ودلس عليك فيها؟ سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم.

البراءة من السماء

وفتر الوحي، وتوقف مدة عن رسول الله ﷺ مما جعل لألسنة السوء والفحشاء مجالاً وميداناً فسيحاً..! ولم يبقَ أمام رسول الله من حيلة إلا المواجهة، فعزم على الذهاب إلى دار أبي بكر رضي الله عنه، وحين دخل عليه الصلاة والسلام إلى الدار، كانت عائشة تبكي وبجوارها امرأة من الأنصار، فكفكفت دمعها، ومسحت عينيها، ثم جلس رسول الله ﷺ قبالتها يسألها: يا عائشة، إنه قد كان ما بلغك من قول الناس، فاتقي الله، فإن كنت قد قارفت سوءاً مما يقولون فتوبي إلى الله، إن الله يقبل التوبة من عباده. ونزل القول على رأس عائشة نزول الصاعقة، فخيم الصمت الرهيب على المكان، وشمل الجميع السكوت.. ولكن عائشة وحدها تكلمت ودموعها تدفقت من عينيها بغزارة. تكلمت لتدافع عن نفسها، ثم نظرت إلى والديها، وقالت صائحة صارخة: ألا تجيبان؟! فقالا: والله ما ندري بماذا نجيب. فعادت إلى البكاء مع النشيج، وقد تقطعت نياط قلبها حزناً وألماً، ثم التفتت إلى رسول الله ﷺ قائلة: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً، والله إني لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس، والله

يعلم أني بريئة، لأقولنّ ما لم يكن، ولئن أنكرت ما يقولون لا يصدقونني، إنما أقول كما قال أبو يوسف (يعقوب عليه السلام) فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، ثم عاد السكوت يلفّ المكان بروائه الشامل.

شعر رسول الله بأن الوحي يكاد ينزل عليه، فسجى في ثوبه، وأتته عائشة بوسادة من أدم وضعتها تحت رأسه، وفزع الجميع إلا عائشة الطاهرة البريئة. وحين استفاق عليه الصلاة والسلام من غشية الوحي وهو يتصبب عرقاً كالجمان، قال: **أبشري يا عائشة، قد أنزل الله براءتك**... فصاحت والفرحة تغمر قلبها: الحمد لله. ثم تلا رسول الله ﷺ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النور ١١-١٨]. ثم أمر رسول الله ﷺ بالأشخاص الذين كانوا يروجون ويفترون ويقذفون، فنالوا جزاءهم. وعادت الطاهرة البريئة إلى بيتها، وإلى مقامها في قلب رسول الله وإلى مكانتها الرفيعة في نفوس المسلمين جميعاً.

مرضه ﷺ في بيت عائشة

وحين دهمت الحمى رسول الله ﷺ سأل نساءه مستأذناً بكل ما كان يتمتع به من أدب النبوة أن يمرض في حجرة عائشة فأذنّ له. فقامت عائشة رضي الله عنها المحبة الوفية بتمريضه ﷺ والاعتناء به على خير ما يكون الحب والوفاء.

وأوصى ﷺ أن يدفن في حجرتها... وهكذا كان. ولقد كانت رضي الله عنه أكثر نسائه وأهله حزناً لفراقه، وألماً لبعاده، وهي تذكر سالف أيامها معه، وسنوات عمرها التي رافقته فيها.

وتولى والدها أبو بكر خلافة المسلمين ثم تبعه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. والكل يعرف لها مكانتها ومنزلتها، وفضلها وعلمها. ثم لما تولى الخلافة علي رضي الله عنه وكانت الفتنة، شاركت عائشة رضي الله عنها في معركة الجمل، وقد سميت بهذا الاسم لأن عائشة رضي الله عنها كانت تركب جملاً، ضد علي رضي الله عنه، ولما انتهت الواقعة أعادها علي رضي الله عنه إلى دارها في المدينة المنورة مع أخيها محمد بن أبي بكر مصونة مكرمة محترمة، وحلفت ألا تغادر دارها من يومها.

الوفاة

مرضت عائشة رضي الله عنها وكان قد سبقها إلى الدار الآخرة معظم نساء النبي ﷺ ثم اشتد عليها المرض حتى فارقت الحياة الدنيا، وجرى دفنها في البقيع، وكانت وفاتها سنة ثمان وخمسين من الهجرة ليلة الثلاثاء السابع عشر من شهر رمضان على أرجح الأقوال.

وقد بلغت من العمر تسعة وستين عاماً. وكان الصحابي الجليل أبو هريرة ممن حضر جنازتها وصلى عليها، وبينما هو في طريق عودته من البقيع بعد الدفن، وقد غاصت عيناه بالدموع، كان يردد: رحم الله أم المؤمنين عائشة، لقد كانت حياتها صفحة ناصعة، شديدة النقاء، بالغة الطهارة.

رضي الله عنها وأرضاها وأكرم نزلها ومثواها، وألحقنا بها في الصالحين من عباده.

زهدها رضي الله عنها

أما زهد هذه السيدة الجليلة زوجة رسول الله ﷺ أم المؤمنين، فعن القاسم بن محمد قال: "كانت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تصوم حتى يزلقها الصوم" أي يجهدها.

وعن ابن المنكدر عن أم ذَرٍّ، وكانت صاحبة عائشة، قالت: "بعث إليها بمالٍ أراه ثمانين أو مئة ألفٍ فدعت بطبقٍ، وهي يؤمئذٍ صائمة فجلست تقسم بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهمٌ واحد. فلما أمست قالت: يا جارية أين فطوري؟ فجاءتها بخبزٍ وزيت. قالت لها أم ذر: أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا لحماً بدرهمٍ نفطر عليه؟! ".

وقال عروة: "لقد رأيت عائشة رضي الله عنها تقسم سبعين ألفاً وإنها لترقع جيب دِرعها".

أهدى معاوية لعائشة ثياباً وورِقاً -أي فضةً- وأشياء توضع في خزانتها فلما خرجت نظرت إليه فبكت ثم قالت: لكن رسول الله ﷺ لم يكن يجد هذا، ثم فرّقته ولم يبقَ منه شيء. وعندها ضيف، فلما أفطرت، أفطرت على خبزٍ وزيت، فقالت المرأة: يا أم المؤمنين لو أمرتِ بدرهمٍ من الذي أهدي إليكِ فاشتري لنا به لحماً فنأكله، فقالت عائشة رضي الله عنها: كلي فوالله ما بقي عندنا منه شيء".

مكانتها العلميّة

روى هشام بن عروة عن أبيه قال: "ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن، ولا بفريضة، ولا بحلالٍ وحرام، ولا بشعر، ولا بحديثٍ، ولا بنسبٍ من عائشة رضي الله عنها".

وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «ما أشكل علينا أمرٌ فسألنا عنه عائشة، إلا وجدنا عندها فيه علماً».

وقال بعض العلماء: "لو اجتمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين، وعلم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل".

وقال عطاء بن رباح: "كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً في العامَّة".

وقال مسروق: "رأيت مشيخة أصحاب رسول الله الأكابر يسألونها عن الفرائض".

تميزها عن سائر نسائه ﷺ

تميزت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن سائر نسائه ﷺ بتسع أمور كما تذكرها هي فتقول: خلالٌ فيَّ تسعٌ لم تكن في أحد من النساء، إلا ما آتى الله مريم بنت عمران، والله ما أقول هذا فخراً على أحد من صواحبي، وهي: نزل الملك بصورتي، وتزوجني رسول الله لسبع سنين، وأهديتُ إليه لتسع سنين، وتزوجني بكراً لم يشركه فيّ أحد من الناس، وكان يأتيه الوحي وأنا وهو في لحاف واحد، وكنت من أحب الناس إليه، ونزل فيَّ آيةٌ من القرآن، ورأيت جبريل ولم يره أحد من نسائه غيري، وقُبض في بيتي ولم يله أحد غير المَلَك وأنا □

محمد الشمالي – لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة أخيرة:

عش القبرة في درب الفيلة

كل من يدقق في أوضاع العالم الإسلامي جغرافياً يلاحظ أن الصراع الدولي القائم فيه بدأ منذ حقبة الاستعمار البريطاني والفرنسي والإيطالي والبرتغالي ولا يزال حتى هذه الأيام، وإن وضع أبناء الأمة في هذه المنطقة يشبه وضع القبرة ـ ذلك العصفور الصغير ـ والتي تكاد تكون العصفور الوحيد الذي يبني عشه على الأرض وبين المحاصيل الزراعية في حقول القمح، بينما تبني باقي العصافير أعشاشها في أعالي الشجر وبين الصخور العالية. وحينما تنتشر الحيوانات في الحقول بحثاً عن الغذاء تدوس الأعشاش بأقدامها، ولا تملك العصفورة المستضعفة الدفاع عن عشها ولا تملك سوى إرسال زقزقات الاستغاثة ولا من مغيث، أما إذا صادف مرور الفيلة في منطقة الأعشاش فإن المصيبة تصبح أكبر فتدفن الأعشاش في التراب وتنتظر القبرة للعام القادم لتبني عشها من جديد على درب الفيلة.

هل يُعقل أن تستمر أمة بكاملها عشرات السنين في درب الفيلة الكبيرة ولا تحرك ساكناً؟ هل يعقل أن تبقى تتفرج وتولول وتعدُّ الضربات والمجازر؟ هل يعقل أن تبقى لقمة الخبز هي الشغل الشاغل للعديد منهم بينما تتسابق الأمم الأخرى في كل المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية وهم ينظرون وينتظرون؟

أما آن لهذه الأمة أن تدرك أن الانتظار يطيل مشاكلها ويعقدها ويؤخر حلها؟ ألم تتعلم من الأمم الأخرى ومن أخطائها السابقة؟ وهل ينتظر هؤلاء أن تتنازل الدول المتصارعة عن أطماعها في بلادهم طوعاً وإحساناً؟

إن الصراع الدولي بدأ منذ زمان بعيد ولن ينتهي إلا بطرد الدول المتصارعة من بلادهم الطاهرة براً وبحراً، ولن يتحقق هذا الهدف إلا إذا غابت الأنظمة العميلة التي تشكل غطاءً للمستعمر، ولن تغيب هذه الوجوه الممقوتة إلا بتحرك المخلصين الأمناء الأوفياء لأمتهم، ولا شك أن ذلك سيحصل بإذن الله، لكن الدول المتغطرسة لا تستسلم إلا إذا واجهتها دولة قوية تملك السلاح والرجال وكل مكونات القوة، أما المناوشات التي تحصل بين الفينة والأخرى من بضعة أفراد فهي لا تزيل الصراع الدولي الدائر، ولا تنهي الأطماع المزمنة التي تسكن الدول الكبرى وتستوطن في عقول زعمائها ❑

بسم الله الرحمن الرحيم

فشل في الحل العسكري وتوجه للحل السياسي

- زار الرئيس الأفغاني الدمية حميد كرزاي السعودية للبحث في المصالحة الأفغانية. وكانت وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون قد كررت في تصريحات خلال مؤتمر لندن حول أفغانستان، القول: إن «المرء لا يتصالح مع أصحابه بل مع أعدائه». وتضع الإدارة الأميركية شروطاً محددة لأي جهود مصالحة، على رأسها نبذ العنف والتخلي عن السلاح وفك أي ارتباطات مع «القاعدة»، بالإضافة إلى احترام الدستور الأفغاني. ويطالب كرزاي بالأمر نفسه علناً، في وقت يزيد من جهوده للتصالح مع عناصر طالبان.
- قال المحلل ريك نيلسون رئيس برنامج مكافحة "الإرهاب" في «مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية»: «إن أي جهود سعودية بالتأكيد تستطيع أن تساعد الوضع». وأضاف أن هناك قناعة أكبر بالحل السياسي في أفغانستان، موضحاً: «كل الحروب تنتهي بحل سياسي».
- واعتبر الخبير في الشأن الأفغاني في معهد «كارنيغي للسلام الدولي» جيل دورونسورو أن جهود المصالحة غير مجدية لأنها لم تقم على أسس جديدة بعد، مشيراً إلى جهود سابقة فشلت خلال السنوات الماضية. ولفت دورونسورو إلى أن واشنطن حتى الآن بقيت بعيدة عن جهود المصالحة، مفضلة أن يقوم كرزاي بهذه الجهود بنفسه، وقال: «وربما التفاوض من خلال الباكستانيين قد يساعد أكثر». وحذر من أن كرزاي قد يستغل قضية جهود المصالحة لتقوية وضعه الداخلي والدولي، من دون القدرة الحقيقية على إقناع العناصر الأساسية في طالبان بمصالحة سلمية حقيقية.
- الولايات المتحدة دولة محتلة، والتفاوض أحد أساليبها لإدامة الاحتلال، والأنظمة العربية مثل باكستان والسعودية وإيران... هي إحدى وسائلها... وما ألجأها إلى التفاوض إلا المقاومة الإسلامية الشرسة، التي تواجهها، والخسائر المادية والبشرية التي تتكبدها... فلتستمر المقاومة الإسلامية الشرسة، وليستمر المقاومون الإسلاميون المجاهدون في تكبيد المحتلين الكفار الخسائر... فهذا هو السبيل الوحيد للانسحاب الحقيقي لا الصوري. وليحذروا من الوسطاء العملاء فهؤلاء ثعالب يلبسون جلد الحمل ❑